

المسحاة

مجلة

المجلد السابع عشر
الجزء الثالث



إهداء من

طبعة دار الوفاء
للطباعة والنشر

تابعوا ...



WWW.ALUKAH.NET

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب

المعجزة
١٣١٥

فيسر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كنار الطريق

مصر ٣٠ ربيع الانور ١٣٣٢ هـ ق ٥ الشتاء الثالث ١٢٩٢ هـ ش ٢٥ فبراير ١٩١٤

فتاوى المشايخ

انتبها هذا الباب لأهمية أسئلة المشتركين خاصة ، إذ لا يسمع الناس عامة ، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده ومهله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز إلى اسمه بالحروف إن شاء ، واننا نذكر الأسئلة بالتدريج غالباً ، ورمزاً قد مناه تأخر السبب كحاجة الناس إلى بيان موضوعه ورعاً حينما غير مشترك لئلا يهذف هذا ، وإن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة إن يذكر به مرة واحدة فإن لم نذكره كان لنا عذر صريح لأفهامه

﴿ دعوة البهائية ومجلة البيان المصرية ﴾

(س ٣) من صاحب الامضاء في القاهرة

حضرة العالم الفاضل صاحب المنار الأغر

نشرت مجلة البيان التي تصدر في مصر مقالا عن البهائيين وزعيمهم عباس أفندي جاء فيه ما يأتي : - « ذلكم هو مولانا عباس أفندي المقلب بعبد البهاء بطل الإصلاح الديني وسيد المصلحين الدينيين ، والمصدر الصحيح الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » البهائية هي كمال حيي - « هي الكاثوليكية الصادقة » . وما دعوتها في الحقيقة إلا دعوة إصلاح ورقى للإسلام - إن أنصارها استخرجوا اسمي تعاليم القرآن فنقوها مما علق بها مما ليس من الدين الصحيح في شيء - « إن نعم الآخرة وهم وخيال » هذا بعض ما جاء في تلك المجلة وما نشره صاحبها المسلم الأزهرى نقب مقابله لزعم البهائيين في الاسكندرية

وقد رد على (البيان) الأستاذ صاحب (عكاظ) في عدة مقالات وتبعه كاتب في جريدة الشعب ثم تبعتهما جريدة الافكار وكاهن كان يطلب إلى صاحب (البيان) تكذيب ما نشره في هذا الموضوع والرجوع إلى الحق ، ولكنه كان يقول لهم إنى كنت وَاكتب عن البهائيين وزعيمهم كما كتبنا عن فولتير وسبينسر ونيتشة ، وكما كتب الأوربيون ويكتبون عن العظماء والفلاسفة والنايين

فما رأي العالم الجليل صاحب المنار في ما نشره « البيان » في موضوع البهائيين وزعيمهم ؟ وما رأيه في رد عكاظ أولا والشعب والافكار ثانيا ؟ { ف - صحفي قديم }

(ج) ينال في المنار مرارا ان البهائية قد استحوذوا دينا جديدا في هذا العصر ،

.....

هو أساس الاسلام ، واساس دين البهائية وثني مادي ، وهم يعبدون والد زعيمهم عباس افندي الملقب (بمبدالبهاء) وما هذا الا لقب الاعوان القول بالوهية البهاء . ولهم شريعة ملفقة من الأديان المختلفة ، وفلسفتها هي عين فلسفة سلفهم من فرق الباطنية ، الذين حاربوا الاسلام بالدسائس التي اخترعتها لهم جمعيات الجحوس السرية ، لافساد أمر المسلمين وازالة ما حكمهم انتقاما للمجوسية التي ابطلها الاسلام . الا وان مرزا حسين الملقب بالبهاء هو وولده الداهية عباس افندي قد جملا دينهما الجديد تنقيحا لما دعا إليه الأئمة الثرثار مرزا محمد علي الذي اشتهر بلقب (الباب) وانما مهد السبيل لدعوته في بلاد الفرس بدعة الشيخية ، الذين هم اكبر المنسدين في الشيعة الامامية ، وسننشر في المنار شيئا من فلسفتهم الخيالية ، التي انتزعوها من باطل الباطنية ، وزفوها في معرض الاساليب الصوفية .

وجملة القول ان دين البهائية دين مخترع ، افتراه الباب الخدوع ، وقيحه بتأدي الزمان الباقعة عباس افندي . وهو أضمر على الاسلام من كل دين في الأرض ، لان أهله يسلكون في الدعوة اليه مسلك سلفهم الطالح في غشاعة عوام المسلمين وابهامهم أنهم يصلحون لهم دينهم ، واحتجاجهم بالشبهات التي يحرفون بها القرآن والاحاديث بالتأويلات البعيدة ، فهم أكبر فتنة على المسلمين في هذا العصر ولا سيما على الشيعة ، لان الغلو في التشيع سلم للباطنية ، ولهذا كان يقول بعض العلماء يقول : انتهي برافتي كبير اخرج لك منه باطنيا صغيرا ، وانتني باطني كبير اخرج لك زنديقا كبيرا

فن عرف دين البهائية من المسلمين ومدحه واستحسنه وشهد بكونه حقا أو اصلا للاسلام ، وكونه هو أو زعيمه معصوما لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، كانت بذلك مرتدا عن الاسلام ، وان زعم انه مسلم ، فهو زنديق منافق كسائر الباطنية اذا كانوا ضغفاء بين المسلمين فالبهائية كسلفهم من الباطنية يتوسلون بدعوى الاسلام بين المسلمين ليقبل كلامهم في دعوتهم الى باطلهم وتحريف معاني القرآن الاستدلال عليها وإبطال ما يفهمه المسلمون منها . فاذا كان صاحب البيان قد قال ما نقله عنه السائل متقدما له فالامر ظاهر ، وان كان قد كتبه عن جهل بحقيقة الفوم فكان الواجب عليه بعد ان نبهته جريدة عكاظ وغيرها ان يرجع الى الحق ويصرح بطلان دين البهائية وتحذير المسلمين من خداع دعائه (ويسمونه مبالغين) وأما ما ذكره السائل عنه من الاعتذار عن تقديس دين وثني مادي وتقديس داعيته واحد مخترعه - بان مدحه له كمدحه لفوائير - فهو غريب ، فان مدحه لفوائير إن

١٨٠ تعدد الزوجات والطلاق والحجاب (المثار - ج ٣ م ١٧)

كان باطلا فهو تأييد للباطل بالباطل ، وان كان يراه حقا ويرى ان ما قلناه في عباس افندي ودينه حق أيضا ، يكون رد اردن عن الاسلام ودخل في دين البهائية . والا فان من قال حقا وقال باطلا ، لا يكون قوله الحق صرة عذرا له اذا قال الباطل بعده ، والذين مدحوا مثل فولتير من كتاب الافرنج كانوا مثله مارقين من النصرانية ، قول يرضى صاحب البيان ان يكون مدحه لعباس كمدحهم لفولتير ؟ وليس ما نقله السائل عن البيان قول مؤرخ يحكي شيئا وقع لارأي له فيه ، حق يقال « ان حاكي الكفر ليس بكافر » بل ذلك مدح لهذا الدين الجديد وتفضيل له على غيره يتضمن دعوة المسلمين اليه . فاذا لم يكن هذا مراده فليصرح كتابة ببراءته من البهائية والتحذير من كفرهم بالاسلام . على ان فيما نقله السائل عنه ما هو كفر في نفسه بالاجماع ، كإنكار حقيقة اميم الآخرة ، وتسميته وهما وخيالا ، بناء على ان هذا من مذهبهم . وجملة القول ان من شأن المسلم ان لا ينشر شيئا يعد كفرا في دينه ، وان لا ينقله عن غيره مقرا له ومستحسنا . فكيف ينوء بمدح دين جديد يراد به نسخ الاسلام وابطاله من الارض ويصفه بأنه هو الحق الذي لا يأتيه البطل من بين يولي من خلفه ؟ وقد قرأنا بعض ما نشر في عكاظ ردا على البيان فرأيناه مبني على اساس الصواب ولم نر ما كتب في جريدة الشعب لانا لانكاذ قراءها بل قلما نراها - وكذا جريدة الافكار - والحق ظاهر في نفسه

* *

(البحث في تعدد الزوجات والطلاق والحجاب)

(س ٤) من صاحب الامضاء في مصر

فضيلة الاستاذ العالم العلامة منشي المثار الأغر

بعد الاحترام نرجو من سيادتكم اجابتنا على السؤال الآتي في مناركم الأغر :

هل يعد البحث في تعدد الزوجات والطلاق والحجاب من الوجهة العمرانية

وتبيان اضرارها في الناس من الوجهة الاقتصادية اهانة للدين الاسلامي

عبد الحميد حمدي بشبرا مصر

(ج) حاشا لله ان يعد البحث في هذه المسائل اهانة للدين الاسلامي مطلقا .

بل كثيرا ما يكون البحث فيها كاشفا عن حكم الاسلام وفضائله ، ومبيناً وجه كونه دين القطرة الجامع بين مصالح الروح والجسد . ولكن غير المسلم قد يهين الدين

الاسلامي اذا خالب هواه ورأيه بعض أحكامه ، فيتخذ ذلك وسيلة للطعن فيه .
أما المسلم فانه يبحث عن الحقائق مع الادب فان عرضت له شبهة على حكم إسلامي
ثابت يزداد بجنا يزداد علما ، ولكنه ينسب القصور الى نفسه لا الى دينه ، ويجمل
هذا قاعدة للبحث ، الى ان يتبين له الحق .

* *

﴿ اسئلة من صاحب الامضاء في (العطف) من ٥ - ١١ ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الاستاذ الأُحد منشيء المنار المنير ، السيد محمد رشيد رضا ، شاد الله به
منار الدين

السلام عليكم ورحمة الله . اما بعد فاني سائل فضيلتكم عن أمور أشكلت علي
مؤملا اسعافي باجوبتها لما اني لا ارى لذلك ممن اعرف اهلا سواكم
(١) لماذا حمل الاستاذ الامام اخذ الكتب في القيامة بالايمن والشمال من
وراء الظهور على اخذها بنشاط وسرور أو بضد ذلك مع إمكان الحمل على الظاهر
الذي تمتنع مخالفته بلا دليل ؟ واستبعاد تصوير وراء الظهر بما صور به لا يوجب
رفض الظاهر فلم لا يقال يأخذ الكافر كتابه بشماله من وراء ظهره حقيقة ، ولا يزداد على
ذلك ؟ ويجمل النشاط والسرور سبباً للأخذ باليمن وضد ذلك سبباً للأخذ بالشمال
من وراء الظهر ؟

(٢) هل يحل التداوي بالخمر اذا ظن نفعها بخبر طيب أخذاً من آية (ما جعل الله
عليكم في الدين من حرج) ومن القاعدة المتفق عليها : الضرورات تبيح المحظورات .
واذا جوزتم فما ترون في حديث «إنها داء وليست بدواء» أو كما ورد

(٣) هل الخمر نجسة وما دليل نجاستها ان قلتم بها ؟ فاني لم ارد ليلاً شافياً بعد
شدة البحث

(٤) ما جواب مجوزي سماع الملاهي عن حديث تحريم سماع المعازف الذي في
البخاري

(٥) ما درجة حديث النهي عن تعليم النساء الكتابة وهل له معارض ؟ وما رأيكم
في هذا التعليم ؟ والحديث المشار اليه ذكره في فتح البيان عن البيهقي والحاكم وابن
مردويه وسكت عليه ، فهل ذكر الحاكم له يفيد صحته

(٦) ما درجة حديث جابر في خلق النور الحمدي قبل الأشياء فقد أنكر الشيخ عبد العزيز شاويش صحته مع ذكره في كتب جملة كشرح الهمزية لابن حجر لكن لم أر من صححه بعد شدة بحث في كثير من كتب السنة

(٧) لم شرطتم على المفتي ذكر دليل الحكم للعامة مع أن كثيراً من الأدلة يصعب جداً تفهيمه أياها فالتكليف به حرج شديد ؟ وإذا وسع العامة أن يثق برواية المفتي فلم لا يسهل أن يثق بأنه أخذ فتواه من دليل صحيح ؟ فانا إذا نظرنا إلى احتمال خطأ العالم في أخذ الحكم أو فتواه بما لا يعلم لزم أن ننظر إلى احتمال كذبه في الرواية أو في تفهيم مرويّه ، ولا أخالكم ترابون في صعوبة تفهيم العامة بعض الأدلة لعلمكم بأن مأخذ الحكم قد يتركب من حديثين أو أحاديث أو من سنة وقرآن، ويحتاج تقريره إلى فطنة والمأم بمجامة علوم

هذه ياسيدي الأستاذ مسائل اشتدت حاجتنا إلى معرفة الحق فيها جداً فلجأنا إليكم والامل بتحقيق طلبنا ملء القواد لا برحمتك عضد الحق

خادم العلم الشريف
م . ز - بالعطف

﴿ أخذ الكتب بالإيمان والشئام ﴾

حمل الأستاذ الإمام الآية في سورة الانشقاق على الكناية لأنه الابن الذي يظهر به معنى الوعد والوعيد الذي وردت الآية في سياقه . والكناية لا تنافي الحقيقة ، فيجوز أن يكون المراد هو ما فسر به الآية مع كون الأخذ بالإيمان والشئام ممدودة إلى ما وراء الظهر يقع بالفعل . ولكن إرادة الحقيقة وحدها خير مجرد ليس فيه ما في الكناية من الموعظة وبيان حسن حال من يأخذ كتابه يمينه من قبل وجهه ، وسوء حال من يأخذ كتابه بشماله من وراء ظهره . وحمل كلام الله على ابغ الوجوه العربية وأظهرها انطباقاً على مقاصد القرآن هو الأولى بل المتعين ، وقد أنزل الله القرآن هدى وموعظة وعبرة وذكري كما هو مبين في عدة آيات . نعم لا يجوز أن يتكلف المفسر في كلام الله تعالى معاني لا يسيغها الأسلوب العربي البليغ للهروب من معنى متبادر لا يوافق ذوقه أو رأيه . وقد عهد في الاستعمال العربي البليغ التعبير باليمين وبالأخذ باليمين عن اليمن والنشاط والعناية ، وبالتعبير بالشئام عن ضد ذلك من الشؤم والكرهية . رسمت العرب اليد اليمنى اليمنى ، والشئام الشؤم . وكانوا يمينون بالطير إذا مرت يميناً ويتشاءمون

بها اذا مرت شمالا . فقول العرب اخذ فلان كذا يمينه او بشماله ، قلما يريدون الا الكناية ، فهو من الكنايات المشهورة بينهم ، لأن ارادة الحقيقة قلما تكون لها فائدة . واما قول العلماء ان الاصل في الكلام الحقيقة ولا يصار الى المجاز أو الكناية الا بدليل وقرينة ، فلا يريدون به ان كل ما امكن أن يراد به الحقيقة يحمل عليها مطلقاً ، فان من الكلام ما يحزم سامعه عند سماعه انه مجاز أو كناية مع إمكان ارادة المعنى الحقيقي . ثم ان تحديد الحقيقة في كل مواد الكلم والتمييز بينها وبين المجاز والكناية ليس من السهولة بحيث ينال من طرف الثمام ، ولعسر انكر بعض النقاد المجاز من أصله وعد الجاهير كثيراً من اجازات حقائق ، وخلطت معاجم اللغة الحقيقة بالمجاز ولم يعن بالترصيل بينهما الا افراد من الجهابذة كالزمخشري في أساس البلاغة ، وإس هذا المقام بالذي يتسع لبيان ذلك

التداوي بالخمر

التداوي بالخمر لمن ظن نفعها شيء . والاضطرار الى شربها شيء آخر . فاما الاضطرار فانما يعرض لبعض الافراد في بعض الاحوال ، وهو يبيح احرم من طعام وشراب بنص قوله تعالى (وقد بين لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه) وبني الخرج والعسر وغير ذلك من الادلة . وقد مثل الفقهاء له في شرب الخمر بمن غص بلقمة فكاد يخنق ولم يجد ما يسيغها به سوى الخمر . ومثله من دق من البرد وكاد يهلك ولم يوجد ما يدفع به الهلاك برذاً سوى جرعة أو كوب من خمر ، ومثله أو أولى منه من اصابته نوبة ألم في قلبه كادت تقضي عليه وقد علم أو اخبره الطبيب بانه لا يجد ما يدفع عنه الخطر سوى شرب مقدار معين من الخمر القوية كالنوع الحديث الافرنجي الذي يسمونه (كونياك) فاننا نسمع من الاطباء انه يتعين في بعض الاحيان لعلاج ما يعرض من مرض القلب ودفع الخطر وقد ثبت ذلك بالتجربة . وهذا النوع من العلاج لا يكاد يكون شرباً للخمر وانما يؤخذ منه قطرة قليلة لا تسكر . واما التداوي المعتاد بالخمر لمن يظن نفعها ولو باخبار الطبيب كتنوية المعدة او الدم ونحو ذلك مما نسمعه من كثير من الناس فهذا هو الذي كان الناس يفعلونه قبل الاسلام ونهى عنه النبي (ص) ووص الحديث الذي اشار اليه سائل « انه ليس بدواء ولكنه داء » رواه احمد ومسلم وابو داود والترمذي . وسببه ان طارق بن سويد الجعفي سأل النبي عن الخمر وكان يصنعها فنهاه عنها ، فقال إنما اصنعها للدواء . فقال له وقوله

«ولكنه داء» هو الحق وعليه اجماع الاطباء ، فان المادة المذكورة من الخمر سم تتولد منه امراض كثيرة يموت بها في كل عام الوف كثيرة ، والسموم قد تدخل في تركيب الادوية ، ولكن الذين يشربون الخمر ولو بقصد التداوي بها لا يلبثون أن يؤثر في اعصابهم سمها ، فتصير مطلوبة عندهم لذاتها ، أي لا مجرد التداوي بها ، فيتضررون بسمها ، فلا يغترون مسلم بأمر احد من الاطباء بالتداوي بها لئلا ما يصنفونها له عادة والله الموفق

﴿نجاسة الخمر﴾

ذهب جمهور الفقهاء الى نجاسة الخمر ، وروي عن ربيعة شيخ الامام مالك القول بطهارتها ، فاما نجاستها المعنوية فلا شك فيها ، واما النجاسة الحسية فلا تصدق على الخمر لئلا يفتقر الى قدرة والنجس ما كان شديد القذارة ، ولا قام عليها دليل من الكتاب ولا من السنة . وقد شرحنا ذلك في المجلد الرابع من المنار (ص ٥٠٠ و ٨٢١ و ٨٢٦) فليرجع اليه السائل ان شاء . وقد جمعتنا الايام بعد كتابة ما كتبناه في ذلك المجلد بجماعة من اكابر علماء الأزهر في قطار خاص من قطارات سكة الحديد كان يحملنا الى بلدة (ديروط) بدعوة قطب باشا قرشي (رحمه الله) للاحتفال بتأسيسه مسجداً ومدرسة فيها ، فدار الكلام بيننا في هذه المسألة ، فقال احد علماء المالكية انه يريد أن يكتب رسالة يثبت فيها نجاسة الخمر بالدليل فتكون رداً على المنار ، قلت له اذا جئت بدليل صحيح يقبله المنار وينشره في الاقطار ، والا رد عليك ما تكتب ، ويمكنك أن تذكر الآن ما عندك من الدليل ، قال «الاجماع» قلت لم ينقله احد بل نقلوا عن الامام ربيعة التصريح بطهارتها ، قال «آية المائدة» قلت : إن لفظ «رجس» محمول فيها على الخمر والميسر والانصاب والازلام ، ولم يقل احد من من المسلمين بنجاسة الميسر والانصاب والازلام ، فتعين ان يكون الرجس هو المستفح عقلاً وشرعاً لضرره ، والرجس يكون حسياً وهو ما يدرك باحد الحواس ، ويكون معنوياً وهو ما يعرف بالعقل والشرع مجتمعين أو منفردين ، قال تعالى (ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون) وقال (وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً الى رجسهم) وقال (فاجتنبوا الرجس من الاوثان) ولا يمكن ارادة النجاسة الحسية بشيء من ذلك . . . ولما لم يستطع الاستاذ المالكي أن يقيم دليلاً ، سال احد الحاضرين مفتي الديار المصرية - وكان يسمع المناظرة - عن رأيه في المسألة . فقال

المتقي : ما مذهب الأستاذ ؟ يعني كاتب هذا - قيل له شافعي . فقال لي : ما المعتمد عند الشافعية في المسألة ؟ قلت المعتمد ان الظاهر نجاسة . قال انتهى الامر . قلت لا ، اتنا بحث في الدليل على نجاسة الخمر لا في نص المذهب . فان كان لديك دليل فاذكره لنا . فلم يأت بشيء . ثم سكت الشيوخ وسكتنا .

﴿ سماع المازف ﴾

قد شرحنا في الجزئين الأول والثاني من المجلد التاسع هذه المسألة فذكرنا أدلة مجوزي السماع وأدلة حازميه . وأقوى أدلة الحازميين حديث البخاري الذي أشار إليه السائل . اذ لم يصح في الباب سواء . بل قال ابن حزم : لا يصح في الباب حديث أبدا وكل ما فيه موضوع . وبيننا أجوبة المجوزين عن هذا الحديث (فمنها) انه منقطع الإسناد فيما بين البخاري (ومنها) ان في اسناده صدقة ابن خالد وقد قال فيه يحيى بن معين انه ليس بشيء ، والامام احمد انه ليس بمستقيم (ومنها) انه مضطرب المتن والسند بما بيناه هنالك (ومنها) ان كلمة المازف التي هي محل الاستدلال ليست عند أبي داود . (ومنها) ان انظة يستحلون ليست نصا في التحريم فقد ذكر القاضي ابو بكر بن العربي لها معنيين أحدهما ان المعنى : يعتقدون ان ذلك حلال . والثاني ان يكون مجازا عن الاسترسال والاكثر من ذلك { ومنها } ان لفظ المازف مختلف في مدلولها والاختلاف يوجب الاحتمال المسقط للاستدلال { ومنها } ان المازف المنصوص عليها فيه هي ما كانت مفترقة بشرب الخمر كما استفاد من بعض روايات الحديث (ومنها) ان المراد بالحديث يستحلون مجموع ما ذكر فيه لا كل واحد منها . وحينئذ يستثنون المازف بدليل كون اللف والعناء منها جمعا بين الأدلة ، إذ ثبت في الاحاديث المتفق عليها سماع النبي (ص) واجازته لهما . واذا أراد السائل أن يقف على تفصيل هذه الوجوه والاجوبة عنها وماخص ما قاله المجوزون والمحرمون في المسألة فليرجع الى المجلد التاسع من المنار .

والذي ظهر لي من مجموع ما ورد في هذا الباب ومن كلام العلماء المختلفين في المسألة ان سماع العناء وآلات اللهو ليست محرمة لذاتها مطلقا ، ولكن الاكثر منها مكروه ولو لم تبعت على معصية ، فاذا كانت مشربة بالفسق كما يقع كثيرا حرمت لاسد الذريعة . ولما كثر اللهو والفسق من المفتونين بالمازف وصارت أغانيهم كلها غرامية خلافا لما كان عليه الناس في القرون الاولى وصارت بذلك من دواعي السكر والعشق المؤدي للفسق . اكثر علماء الدين من ذمها والتنفير منها والجزم بتحريمها - كما حرموها

أبداه المرأة لما ظهر من زينتها وكشف وجهها وكفيها خوف الفتنة ، حتى منعوا النساء الصلاة في المساجد . وقالوا مثل ذلك في الاصرار الجليل الصورة . وحديث البخاري أي المسئول عنه اخبار بالغييب عن حال هؤلاء الفساق ، فلم يبعد عن الفهم من قال انه في تقييحه حال هؤلاء الفساق في جملة أفعالهم . فرواية البخاري « ليكون من أمي قوم يستحلون الحر (١) والحرير والخمر والمعازف » ورواية بعض السنن « ليسر بن ناس من أمي الخمر يسمونها بغير اسمها يزف على رؤوسهم بالمعازف والمغنيات » وفي لفظ « روح عليهم القيان وتمدوا بالمعازف » فالحديث مروي بالمعنى ولذلك اختلفت ألفاظه . ولا شك ان ما يؤخذ من تعدد ألفاظه يدل على استقباح النبي (ص) لمجموع فعل هؤلاء الفساق ، ومنه عزف المغنيات لهم على شرهم وفسقهم . فهو مثل حديث « صنفان من اهل النار لم أرهما بعد : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات ، مائلات عميلات ، على رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ربهن ، وان رجلا ليوجد من مسيرة كذا وكذا » رواه احمد ومسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة . فاما الرجال الذين يضربون الناس بسياط كأذناب البقر فهم اعوان الحكام الذين ابتدعوا السياط التي تسمى الكرايسج وصاروا يذبون الناس بها . واما النساء الموصوفات بما ذكر فهن مشاهدات في زماننا . ولم يفهم المراهق من وصفهن بما ذكر كثير من العلماء قبل وجودهن . وانت ترى من وصفهن انهن يضمن على رؤوسهن شيئاً مرتفعاً شبه سنام البخت من الابل . وهذا يجد ذاته مباح بالاجماع ، ولكنه مع سائر تلك المنعوت يمثل حال طائفة من الفواسق الفوانئ اللواتي يضلن كثيراً من الناس

﴿ تعليم النساء الكتابة ﴾

لم يصح في النهي عن تعليم النساء الكتابة شيء . وليس كل ما يرويه الحاكم صحيحاً بل صحح في مستدركه على الصحيحين أحاديث جزموا بان بعضها ضعيف وبعضها موضوع . ومنها هذا الحديث الذي يشير اليه السائل « لا تسكنوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة » رواه في المستدرك من طريق عبد الوهاب بن الضحاك عن عائشة ، وعد كذاب كما قال أبو حاتم ، مثله كما قال النسائي ، تنكر الحديث كما قال الدارقطني . وقال الحافظ بن حجر في الاطراف بعد ذكر تصحيح الحاكم : بل عبد (١) الحر بن العسكر النرج والمراد الزنا ، وفي لفظ الخز بن عيسى . وهو نوع من الديباج وهذا من الاضطراب في متن الحديث

(المنار-ج ٣ م ١٧) حديث جابر في أول الخلق . الافتاء بالدليل ١٨٧

الوهاب متروك، وقد تابعه محمد بن ابراهيم الشامي عن شعيب بن اسحق ، و ابراهيم رماء ابن حبان بالوضع . وان حبان هو الذي روى حديثه هذا في كتاب الضعفاء ، وقال الدارقطني فيه : كذاب . واخرج ابن حبان في الضعفاء أيضاً عن ابن عباس مرفوعاً « لا تعلموا نساءكم الكتابة » وفي سنده جعفر بن نصر وهو منهم بالكذب كما قال الذهبي . وهذه الروايات الواهية او الموضوعية معارضة بروايات صحيحة في مشروعية تعليم النساء الكتابة . منها حديث الشفاء التي علمت حفصة أم المؤمنين الكتابة ، وقال لها النبي (ص) مودة مازحا « الا تعلمين هذه رقعة النملة كما علمتها الكتابة » رواه احمد وابو داود بسند رجاله رجال الصحيح ، الا ابراهيم بن مهدي البغدادي المصيصي وهو ثقة كما قال ابن القيم ، ورواه النسائي والحاكم وصححه ، وغيرهم . وقد صرح كثير من العلماء بأن حديث الشفاء يدل على جواز تعليم وتعلم النساء الكتابة ، وفي الأدب المفرد للبخاري ان عائشة بنت طلحة كانت في حجر عائشة أم المؤمنين تكتب الرجال . كانوا يكتبون اليها من الامصار ويهدونها لمكانها من أم المؤمنين فنأمرها أم المؤمنين بأن تحببهم على كتبهم وتيسرهم على هداياهم . وعلى هذا جرى المسلمون فكان فيهم كثير من الكتابات الملمات بالحديث والأدب والفنون . وهن بدخلن في عموم خطاب الشرع في جميع احكامه الا ما خصص . ومن مقاصد الشرع اخراج الامة من الاية وتعليمها الكتاب والحكمة كما هو منصوص في كتاب الله تعالى

حديث جابر في اول الخلق

تجدون الكلام على هذا الحديث وما في معناه من كون نبينا (ص) كان نبياً وآدم بين الماء والطين وغيره في ص ٨٦٥-٨٦٩ من مجلد المنار الثامن . ولا عبرة بكلام مثل الشيخ عبد العزيز جابري في انكار حديث ولا في اثباته فانه ليس من علم الحديث في شيء ، وهو جريء على القول في الدين بالهوى والرأي حتى انه انكر بعض احاديث الصحيحين بغير علم ، فهو ينكر ما لا يوافق عقله ورأيه

ذكر المفتي للدليل

لنكم ذكرتم في السؤال عبارتنا التي استبطن السؤال منها فاتنا لا تذكر مسألة الشرطية ولا تذكرها ، وانما نذكر اننا كتبنا مرارا انه ينبغي للمعلم والمفتي في الدين أن يبين للناس نصوص الكتاب والسنة في المسائل ايمر فواصل دينهم ، ومن ان أخذ الحكم الذي لقنوه أو أفتوا به . وهذا هو الواجب الذي أخذ على اهل الكتاب العهد أن يبينوه

١٨٨ الانتقاد على المنار، والمناظرات في النصرانية والاسلام (المنار-ج ١٧٣)

للناس ولا يكتتموه ، فإذا تعمس أو تمذر على بعضهم فهم الآية أو الحديث بمد يانه بقدر الاستطاعة خرج المذني من تبعه الكتمان . واما المسائل التي لا نص فيها بعينها ويتمذر على السائل فهم مأخذها ، كبعض مسائل المواريث التي يدخلها العول مثلا ، فلا بأس ببيان الحكم فيها بدون ذكر مأخذها . واما تعويد الناس اخذ مسائل الدين بدون وصلها بأصلها من الكتاب والسنة فهو قطع لحبل الله ورسوله بين المؤمنين ، وهو الذي فتح للباطنية وغيرهم من المضلين ، باب اضلال المسلمين . اذ صارت العامة تقبل كل ما يقال لها انه من الدين . - فهذا سبب ما رأيتموه وسميتموه اشتراطاً ، ولولا ضيق الوقت لراجعنا ما تشيرون اليه من مظانه واجبتنا عنه بعينه ، والخطب سهل ان شاء الله تعالى .

باب الانتقاد على المنار

هو نقد عبارة في المنار ، والمناظرات بين دعاة النصرانية وعلماء الاسلام . ارسل اينا طاهر افندي التتير من بيروت تبذتين في الرد على دعاة النصرانية الذين فتح لهم الدستور باب الجرأة على توزيع رسائل الطعن في الاسلام في سورية حتى قاربوا ان يجهروا فيها كما يجهرون في مصر ، وقد رأينا في كل من التبذتين عدوذا في التعبير فحذفنا ونقحنا وتصرفنا في العبارة محذوف بعض المعاني الشعرية التي تؤثر تأثيرا رديئا بلا فائدة . وقد ظهر لنا بعد ذلك انه بقي في الكلام ما ينتقد على الكاتب ، وكذا على الناشر ، لانه يؤلم القارئ من النصارى ، اذ كاشفنا بعض اصدقاءنا السوريين بما انتقدوه ، وقالوا ان مثل هذا لا يعهد من المنار ، فهو يرد على المبشرين من سنين طويلة ولم تنتقد عليه كلمة واحدة تعد جارحة أو بعيدة عن الأدب ، ثم انه قد عرف بأنه داعية وفاق ومودة ، فلا ينبغي له ان ينشر ان لا يراعون مشربه هذا ما ينافيه . فرأينا ان نكتب كلمات في هذا الموضوع تزيل اللبس ، وتكون هي القول الفصل ، وهي :

(١) اننا نحمد الله تعالى ان جعلنا من دعاة الوفاق والمودة ، ومن محبي الأدب والنزاهة ، وانه ليسوعنا ومحزننا ان تقع في سهو او غلط ينافي ذلك وبعارضه ، واذا عثرنا سارع الى التوبة والندم ، ونلتا في ما يمكن تلافيه بما نحمله الطاقة ، وتناله الاستطاعة .

(٢) ان المنار لا يشترك فيه النصارى كما يشترك المسلمون في محققهم الدينية - دع السياسية التي تسمى عامة - فلا يوجد في مشتركة عشرة شهر من النصارى ، لا جل هذا لا يخطر في بالنا عند كتابة كل شيء او نشره ان نراعي فيه موقعه من نفوسهم ، وتأثيره فيهم وزعم ، والأدب مطلوب عندنا لذاته . وانما بطلع عليه عدد قليل من اهل العلم والأدب كاعحاب الصحف التي يادها المنار ، وهؤلاء من الاحرار اعحاب الصدور

(المنار - ج ٣ م ١٧) الاتقاد على المنار والمنظرات في النصرانية والاسلام ١٨٩

الواسعة ، فاذا هم استنكروا شيئاً لا يذيعونه في جمهور قومهم ، ونتيجة هذا أن ما ينشره المنار لا تأثير له في عامة النصارى حتى يقال ان المجلات كالجرائد يجب ان يراعى فيها شعور جميع الملل التي تقم في الوطن التي تصدر فيه او تنطق باللغة التي تكتب بها . فهو اذا من كتب الاسلام الدينية ، فلا وجه لمطالبتنا بأن نراعى شعورهم فيه ، ولا لدعوى ان ما ينشر مخالفا لعقائدهم او ردا عليها يوجب التفرقة والعداوة .

(٣) إن دعاة النصرانية هم المعتدون على المسلمين بالطعن في دينهم بما ينشرون من الكتب والرسائل والصحف ، وبما يعتقدون من الجامع لدعوة المسلمين الى دينهم وفي مدارسهم ومستشفياتهم ، فصار من الواجب علينا شرعا أن ندافع عن ديننا ، وننفر عوامنا عن قبول دعوتهم . فالفرق بيننا وبينهم انهم مهاجمون ونحن مدافعون ، وانهم يكتبون مطاعنهم لينشروها في المسلمين ، كما يكتبون مطاعنهم القولية فيهم ، ونحن لا ننشر مطاعنا بين النصارى ولا نشافهم بها ، ولا يكاد يطلع عليها الا عدد قليل من محبي الوقوف على الشؤون العامة . فمن ينتقد ما نكتبه بدعوى أنه يوجب العداوة والتفرقة بين عامة الفريقين مخطيء ، وانما يكون مصيبا اذا قال ذلك فيما يكتبه اهل ملته ودينه ، لانهم ينشرونه بين المسلمين فينفروهم من النصارى ، ولا يغفل عن هذا او يتغافل عنه الا الغالي في التعصب .

(٤) قال بعض احبابنا إن الطاعنين في الاسلام من النصارى كلهم من الاجانب كالمريكانين والانكليز لا من ابناء وطننا ، فلا ينبغي ان نسيء الى ابناء وطننا بردنا عليهم . وتقول (اولا) أن هذا القول غير صحيح ، فكتاب (الضلالة) المسمى بضد اسمه تأليف رجل من متعصبى القبط وهو اقدر هذه الكتب وأقلها أدبا في الطعن في نبينا صلى الله عليه وسلم ، وكتاب اجاث المجتهدين مؤلفه سوري ، بل اقول ان اكثر تلك الكتب والرسائل والصحف الطاعنة في الاسلام يكتبها أجراء المبشرين من الوطنيين او يترجمونها اذ لا يكاد يوجد في أولئك الاجانب من يحسن الكتابة العربية ، وانما ينشرها الاجانب لان لديهم أموالا كثيرة مرصدة لذلك من اهل بلادهم الذين يقول لنا ابناء وطننا انهم هم البراء من التعصب الدينى دون اهل الشرق . ولأن لهم من الامتيازات والنفوذ السياسى ما يحكمهم من سلطة الحكومة . ونحن نرى جمهور الوطنيين من ذنب أولئك الاجراء ولا نعدده مانعا من الاتفاق بيننا وبينهم (وثانيا) اذا فرضنا ان هذا العدوان من الاجانب خاصة ، فهل من العدل ان يطالبنا نصارى بلادنا بأن لا نرد عليهم ، ولا نحذر عوامنا ونحول بينهم وبين افسادهم لعقائدهم ، لان دفاعنا عن ديننا يخرج عواطفهم الدينية ؟؟ أليس متهمى التعصب والسعي للعداوة والتفرقة ان تطالب ابن وطنك بان يترك الدفاع عن دينه ، وتعلم اهله ما يصونهم عن الارتداد عنه ، أو عن فساد العقيدة الذي قلما تاتيح دعوة المبشرين

غيره، وأن يرضى أن يكذب قرآنه ويشتم رسوله، إكراماً لخاطرك، ومراعاة لعواطفك؟
(٥) ان القاعدة الصحيحة المعقولة للاتفاق هي قاعدة المنار الذهبية التي دعا إليها المختلفين في المذاهب والأجناس من المسلمين، والمختلفين في الأديان والأجناس من العثمانيين . وهي « نتعاون على ما نشترك فيه . ويعذر بعضنا بعضاً فيما نختلف فيه » وقد شرحناها غير مرة ولكن كثيراً من الناس لا يحبون الوفاق ، ومنهم أعوان المبشرين من الوطنيين ، وبعض الكتاب والصحافيين ، كالشيخ يوسف الخازن من نصارى السوريين، الذي وضع قاعدة للخلاف، ضد القاعدة التي وضعها للوفاق ، وصرح بها في ملأ من أدباء نصارى السوريين كنت أكلهم في وجوب السعي إلى الوفاق والوحدة . فسخر من هذه الدعوة ، وقال : إذا كان الخلاف بين مسلم ونصراني فأنا مع النصراني على المسلم كيفما كان - أي في الحق والباطل ، وإذا كان بين كاثوليكي وغير كاثوليكي فأنا مع الكاثوليكي مطلقاً ، وإذا كان بين كاثوليكي ماروني وكاثوليكي غير ماروني فأنا مع الماروني مطلقاً قال وكل الناس كذلك . فمثل هذا لا يذر المسلمين في كلمة يخالفون فيها النصارى ولا بقولهم ولو في كتبهم ومحفهم الخاصة بهم اننا على الحق والطاعن في ديننا على الباطل . ولذلك اقام النكير على المنار مرة لأنه ذكر اسم المبشرين في سياق الكلام على ما افند بلادنا من سعي فساق الافرنج كواخير البغاء وحانات الخمر وبيوت القمار . ونحن نرى المبشرين اشد إفساداً في بلادنا من غيرهم لأن صاحب الحانة يحمل المسلم أو يساعده على مخالفة الاسلام في امر واحد وهو السكر ، والمبشر يحمله على ترك دينه كله ، وزد على ذلك ان المبشرين هم الذين يوقدون نار العداوة بين المسلمين والنصارى ويفسدون المسلمين انفسهم بتشكيكهم في الدين الذي هو اساس الفضيلة والتقوى والوحدة والاتفاق . فمثل الشيخ يوسف الخازن من متعصبى النصارى السوريين ، وبعض اصحاب الجرائد من متعصبى القبط ، اشد سعيًا في التفريق بين المسلمين والنصارى من المبشرين الاجانب ، لانهم يحثون عن كلمة يقولها مسلم في الدفاع عن دينه فيجذبونها عن سببها والحامل عليها من الأعذار ويزفونها الى قومهم في صورة مشوهة وإضافات باطلة . وما بلغ المكروه الا من نقل (٤) ان مجالنا في الرد على النصاري اصيق من مجالهم لاننا نؤمن بنبيهم المسيح ونعظمه ونعظم حواريه ، ونعد الطعن فيه كفراً وردة عن الاسلام (لا تفرق بين احد من رسله) وهم يطعنون بلا قيد ولا حد . فغاية ما يمكن ان يكتبه المسلم هو النقل من كتبهم الدينية او كتب احرار الاوربيين بشرط اظهار البراءة من كل مالا يليق بكرامة المسيح او غيره من انبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ، والتصريح بأن نقل ما ذكر من باب (ناقل الكفر ليس بكافر) واننا لا احب لنفسى سلوك هذه الطريقة . وهي التي اضطر اليها بعض من كتب في المنار ، وكتابة التنبيه من

هذا الباب، وانني حبا في الزاهة والادب، وكراهة للشعريات في المناظرة والجدل، عملا بقوله تعالى (ولا تجادلوا اهل الكتاب الابالي هي احسن) قد تقحنتها ، فاذا كان قد بقي فيها كلمة شاذة ككلمة الثالث الزنائي في سياق قصة ولادة سليمان عليه السلام ، فانما ذلك من السهو الذي يظهر بما نبين من سببه ، وهو ان الكاتب جعل عنوان مقالته (الثالث الزنائي المقدس) وصدر الكلام في كل قصة من القصص الثلاث التي نقلها من التوراة بقوله (الاقنوم الاول من الثالث الزنائي المقدس) الخ وكان يهتمها بمثل هذه الكلمة ، ويكررها في أثناء العبارة ، فرجحنا (شطبنا) كل هذه الكلمات لان فيها امتها نالاصطلاحات محترمة ، وغرضنا من تحذير عوام المسلمين من الاستجابة للمبشرين لا يتوقف على ذلك ، ولا هو مما يرضاه آدابنا ، وجعلنا مكان كلمة الاقنوم كلمة الجد ، وحذفنا لفظ الثالث من العناوين ومن تضاعف الكلام ، واتفق اننا لم نقرأ تلك الاوراق في وقت واحد لكثرة الشواغل وضيق وقتنا عنها ، ولذلك جعلنا في القصة الثالثة لفظ (الشاهد) بدل (الجد) وبقي في آخرها كلمة « الثالث الزنائي » على اني اذكر جيدا اني حذفنا هذه العبارة التي كانت في العنوان الاول وتكررت في الكلام . فلا أدري اكان ترميجها (شطبها) غير ظاهر فجمعت حروفها ، ام كنت قد نسيتها لاني قرأت تلك الورقة التي هي فيها وحدها . ولهذا قلت فيها الشاهد الثالث بدل الجد الثالث . وقد ظهر بهذا الذي شرحته ان هذه الكلمة قد بقيت في المقالة كالعضو الأثري . وان اللام فيها لام العهد الذكري . اي الثالث الذي تقدم ذكره . وانني لما ذكرت لي ماصدقت حتى راجعت ورأيته ابعيني . وقد امتعضت امتعاضا شديدا ظهر علي وسئلت عن سببه . فان من خلقي وغريزي أن اتألم مما يقع مني مخالفا لمشربي ورأيي ، ولو سهوا او نسيانا . ولا أبالي بما ينتقده الناس اذا كنت اعتقد انه حق وصواب وغير خارج عن حدود الآداب . ومثل هذا الغلط والسهو يقع كثيرا وفي هذا الجزء من المنار غلط في آية من القرآن غفلنا عنها . لاجل هذا قلت لمن نهني ولغيره : اني أحب ان أتلافى هذا الخطأ بما يرضى المتألمين ، منه وادع لاهل الانصاف من النصارى اقتراح ما يرونه ويرضونه من اعتذار او انتقاد لما كتب ، او حذف الكراسة من المنار وطبع كراسة بدلها خالية من كل كلمة جارحة . وانما اقبل في هذا قول المعتدلين البراء من التعصب كاسكندر بك عمون وسامي افندي الجريديني من فضلاء المحامين السوريين . على ان هذه الكتابة يصح ان تعد ترضية للمنصفين ودليلا على اننا لم ننشر تلك العبارة عمدا . واما المتعصبون فلا يرضيهم منا الاخر وجنا من ديننا . فلا زالوا ساخطين وقد سعوا مع بعض المبشرين من قبل لاقناع الوكالة البريطانية بالغاء المنار ومنع اصداره ظنا منهم بان الجوي مخلو لهم ولغيرهم من اعداء الاسلام فلا تجرأ احد على الرد عليهم .

(٧) ان سبب نشر هذه المقالة والمعنى الذي اردنا ان يفهمه المسلمون منها هو ان

إيماننا بالمسيح والانبياء اصبح من إيمان المبشرين، وتكرميننا لهم خير من تكريمهم، فهم قد جمعوا فيما قالوه في المسيح عليه السلام بين الضدين فأطروه حتى اتخذوه ربا وإلهاء، وتقلوا في نسبه لأمه وأبيه الناموسي (لا الحقيقي) انه من نسل سليمان بن داود من سبط يهوذا وقد ثبت في العهد العتيق عندهم (لا عندنا) ان بعض أجداده في هذا النسب (الذي سرده متى ولوقا في انجيليهما) من اولاد الزنا. وثبت عن مقدسهم بولس أنه صار لعنة لأجلهم. ونحن المسلمين نقول انه عليه السلام اهل لكل كرامة وفضيلة، وانه من روح الله وآية منه، ولكن ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله. ونقول انه طاهر من نسب طاهر، فنحن ننقل ما نقلنا عن العهدين العتيق والجديد مما لا يسعهم إنكاره، لاقامة الحججة عليهم، وإعلاما لعامة اهل ديننا بأننا لسنا في حاجة الى من يدعونا الى الايمان به عليه السلام، بل نحن أحق بأن ندعوا هؤلاء الدعاة الى تبرئته من اللعنة ومن دنس النسب، كما نبرئ سائر الانبياء عليهم السلام مما لا يليق بهم، ونحشو التراب في فم من يزعم اننا نقول كلمة فيهم تشعر بنقصهم. قال ابو بصيري رحمه الله في لاميته

وأليك ما أعطى يهوذا خاتما لونا بمحصنة ولا منديلا

لوتوا بغير الحق السنة بما قالوه في ليا وفي راحيلا

ودعوا سليمان النبي بكافر واستهونوا افكا عليه مقولا

﴿ ٨ - صفة الكلام وفصل الخطاب ﴾

ان المسلمين مدافعون لامعتدون، وهذا الدفاع فرض ديني عليهم، والمنار الذي يرد عليهم يوزع على المسلمين أيضا ليحذروهم من الارتداد عن دينهم أو يحول دون شكهم فيه، والمشترون فيه من غير المسلمين يعدون على اصابع اليد، فليكتبون شير سخط الرأي العام الاسلامي، ولذلك طفق المسلمون يؤلفون الجمعيات في مصر لمقاومتهم وما يكتبه المسلمون على كونه دفاعا لا يكاد يشعر العالم النصراني لانه يوزع على المسلمين دونهم، الا اذا بحث عنه بعض المتعصبين من اصحاب الصحف او غيرهم. والمعلول يدوم بدوام علته. فنحن لا نترك الرد عليهم ما داموا يدعونا الى دينهم قولا وكتابة ويتعرضون في خطبهم وكتبهم وصحفهم لديتنا، فان تركوا تركنا، واذا استمروا استمررنا، ونلتزم الادب في العبارات بقدر فهمنا واجتهادنا، فمن كان ساعيا في منع ذلك باخلاص وحب للوفاق فليبدأ بأسكات المبشرين عن ذكر كتابنا وديننا واصول ديننا وفروعه، ويبقى لهم مجال واسع في الدعوة الى دينهم بذكر محاسنه وما عندهم من الدلائل عليه، ومن لم يرضه منا الا ان نسكت لهم عن الطعن في ديننا والتفكير عنه والتحرير انصوصه فلا زال ساخطا غاضبا حاقداً - الى ما شاء من لوازم تعصبه. ولعل سوء تأثير هؤلاء المبشرين سيضطر الحكومة والمحتالين الى وضع حد لهذا الامر إما بقانون أو بغير قانون، ولا نظن أن الانكليز يجبروننا على السكوت ويدعونهم يبعون كما يريدون

فصل^(١)

فحينئذ يطالع منه على (المشهد الثاني عشر)

وهو مشهد الذل والانكسار ، والخضوع والافتقار للرب جل جلاله ، فيشهد في كل ذرة من ذراته الباطنة والظاهرة ضرورة تامة وافتقارا تاما الى ربه وولاه ، ومن يده صلاحه وفلاحه ، وهواه وسعاده ، وهذه الحال التي تحصل لقلبه لا تنال العبارة حقيقتها ، وانما تدرك بالحصول ، فيحصل فيه كسرة خاصة لا يشبهها شيء ، بحيث يرى نفسه كالاناء المروض تحت الارجل الذي لا شيء فيه ، ولا به ولا منه ، ولا فيه منفعة ، ولا يرغب في مثله ، وانه لا يصلح للانتفاع الا بجبر جديد من صانعه وقيمه ، فحينئذ يستكثر في هذا المشهد ما من ربه اليه من الخير ، وبرى انه لا يستحق قليلا منه ولا كثيرا ، فأني خير ناله من الله استكثره على نفسه ، وعلم أن قدره دونه ، وأن رحمة ربه اقتضت ذكره به وسياقته اليه ، واستقل ما من نفسه من الطاعات لر به ، ورأها ولو ساوت طاعات الثقلين من أقل ما يذني لر به عليه ، واستكثر قليل معاصيه وذنوبه ، فان الكسرة التي حصلت لقلبه أوجبت له هذا كله ، فما أقرب الجبر من هذا القلب المكسور ! وما أدنى النصر والرحمة والرزق منه ! وما أنفع هذا المشهد له وأجداه عليه ! وذرة من هذا ونفس منه أحب الى الله من طاعات أمثال الجبال من المدائين المعجيين بأعمالهم وعلومهم وأحوالهم وأحب القلوب الى الله سبحانه قلب قد تمكنت منه هذه الكسرة ، وملكته هذه الذلة ، فهو ناكس الرأس بين يدي ربه لا يرفع رأسه اليه حياء وخجلا من الله . قيل لبعض العارفين : أيسجد القلب ؟ قال : نعم يسجد سجدة لا يرفع رأسه منها الى يوم اللقاء . فهذا سجود القلب ، قلب لا تباشره هذه الكسرة فهو غير ساجد السجود المراد منه . واذا سجد القلب لله هذه السجدة العظيمة سجدت معه جميع الجوارح ، وغنا الوجه حينئذ للحي القيوم ، وخشم الصوت والجوارح كلها ، وذل العبد وخضوعه واستكان ، ووضع خده على عتبة العبودية ،

(*) تابع لما نشر في ص ١١٣ من المجلد السابع عشر

(المجلد السابع عشر)

(٢٥)

(المنار - ج ٣)

ناظرا بقلبه الى ربه ووليه نظر الذليل الى العزيز الرحيم ، فلا يرى الا متملقا لربه خاضعا له ، ذليلا مستعطفا له ، يسأله عطفه ورحمته ، فهو يترضى ربه كما يترضى المحب الكامل المحبة محبوبه المالك له ، الذي لا غنى له عنه ، ولا بد له منه ، فليس له هم غير استرضائه واستعطافه ، لانه لا حياة له ولا فلاح الا في قر به ورضاه عنه ، ومحبته له ، يقول : كيف أغضب من حياتي في رضاه ؟ وكيف أعدل عن معادتي وفلاحي وفوزي في قر به وحبه وذكره ؟

وصاحب هذا المشهد يشهد نفسه كرجل كان في كنف أبيه يغذوه بأطيب الطعام والشراب واللباس ، ويربيه أحسن التربية ، ويرقيه في درجات الكمال أتم ترقية ، وهو القيم بمصالحه كلها ، فبشمه أبوه في حاجة له فخرج عليه في طريقه عدو فأمره وكتفه وشده وثاقا ، ثم ذهب به الى بلاد الأعداء فسامه سوء العذاب ، وعامله بضد ما يكون أبوه يعامله به ، فهو يتذكر تربية والده وإحسانه اليه الفينة بعد الفينة ، فيهيج من قلبه لواعج الحسرات كلما رأى حاله ، وتذكر ما كان عليه ، وكل ما كان فيه . فبينما هو في أسر عدوه يسوءه سوء العذاب ، ويريد نحره في آخر الامر ، اذ حانت منه التفاتة الى نحو ديار أبيه ، فرأى أباه منه قريبا ، فسعى اليه ، وألقى نفسه عليه بين يديه ، يستغيث يا أبتاه يا أبتاه يا أبتاه ! أنظر الى ولدك وما هو فيه ، ودموعه تسبق على خديه قد اعتنقه والتزمه ، وعدوه في طلبه ، حتى وقف على رأسه وهو ملتزم لوالده ممسك له . قبل تقول ان والده يسلمه مع هذه الحال الى عدوه ويخلي بينه وبينه ؟ فما الظن بمن هو أرحم بعبده من الوالد بولده ، ومن الوالدة بولدها ؟ اذ فر اليه ، وهرب من عدوه اليه ، وألقى نفسه طريحا ببابه ، عرغ خده في ثرى أعتابه ، با كيا بين يديه يقول : يارب ! يارب ! ارحم من لا واهم له سواك ، ولا ناصر له سواك ، ولا مؤوي له سواك ، ولا مغيث له سواك ، مسكينك وفقيرك وسائلك ومؤملك ومرجيك ، لا ملجأ له ولا منجأ له منك الا اليك ، أنت معاذه ، وبك ملاذه

يامن ألوذ به فيما أومله ومن أعوذ به مما أحاذره
لا يجبر الناس عظاما أنت كاسره ولا يهينون عظاما أنت جابره

(المنار - ج ٣ م ١٧) مشهد العبودية والمحبة والشوق الى الله تعالى ١٩٥

﴿ فصل ﴾

فاذا استبصر في هذا المشهد ، وتمكن من قلبه ، وباشره وذاق طعمه وحلاوته ، ترقى منه الى (المشد الثالث عشر) وهو الغاية التي شمر اليها السالكون ، واما القاصدون ، ولحق اليها العاملون

وهو مشهد العبودية والمحبة والشوق الى لقائه والابتهاج به ، والفرح والسرور به ، فتَقَرُّ به عينه ، ويسكن اليه قلبه ، وتطمئن اليه جوارحه ، ويستولي ذكره على لسان محبه وقلبه ، فتصير خطرات المحبة مكان خطرات المعصية ، وارادات التقرب اليه والى مرضاته ، مكان ارادة معاصيه ومساخطه ، وحركات اللسان والجوارح بالطاعات ، مكان حركاتها بالمعاصي ، قد امتلأ قلبه من محبته ، وطج لسانه بذكره وانقادت الجوارح لطاعته ، فان هذه الكسرة الخاصة لها تأثير عجيب في المحبة لا يعبر عنه . ويحكى عن بعض العارفين قال : دخلت على الله من ابواب الطاعات كلها فما دخلت من باب الا رأيت عليه الزحام فلم أتمكن من الدخول ، حتى جئت باب الذل والافتقار فاذا هو اقرب باب اليه واوسع ، ولا مزاحم فيه ولا معوق ، فما هو الا ان وضعت قدمي في عتبة فاذا هو قد اخذ بيدي وأدخلني عليه . وكان شيخ الاسلام ابن تيمية رضي الله عنه يقول : من اراد السعادة الابدية ، فليأزم عبدة العبودية . وقال بعض العارفين : لا طريق اقرب الى الله من العبودية ، ولا حجاب اغلظ من الدعوى ، ولا ينفع مع الاعجاب والكبر عمل واجتهاد ، ولا ينفع مع الذل والافتقار بطاعة ، يعني بعد فعل الفرائض .

واقصد ان هذه الذلة والكسرة الخاصة تدخله على الله ، وترمي على طريق المحبة ، فيفتح له منها باب لا يفتح له من غير هذه الطريق ، وان كانت طرق سائر الاعمال والطاعات تفتح للعباد ابوابا من محبة ، لكن الذي يفتح منها من طريق الذل والانكسار والافتقار وازدراء النفس ، ورؤيتها بهين الضعيف والمعجز والمسيب والنقص والذم ، بحيث يشاهدها ضيعة وعجزا وتقر بظا وذنبا وخطيئة ، نوع آخر وفتح آخر . والسالك بهذه الطريق غريب في الناس . هم في ود وهو في واد . وهي تسمى طريق الطير ، يسبق الغائم فيها على فراشه السعادة فيضبح وقد قطع الراكب ،

بيننا هو يحدثك وإذا به قد سبق الطرف وفات السعاة . فالله المستعان وهو خير الغافرين . وهذا الذي حصل له من آثار محبة الله له وفرحه بتوبة عبده ، فإنه سبحانه يحب التوابين ويفرح بتوبتهم أعظم فرح وأكمله ، فكلمنا طالع العبد منه سبحانه عليه قبل الذنب وفي حال مواقفته وبعده ، وبره به وحلمه عنه وأحسانه إليه . هاجت من قلبه لواعيج محبته والشوق الى لقائه ، فإن القلوب مجبولة على حب من أحسن إليها ، وأي أحسان أعظم من أحسان من يبارزه العبد بالمعاصي ، وهو يمدّه بنعمه ويمامه بألطافه ، ويسبل عليه ستره ، ويحفظه من خطافات أعدائه المترقبين له أدنى عثرة ينالون منه بها بغيتهم ، ويردهم عنه ويحول بينهم وبينه ، وهو في ذلك كله بعينه يراه ويطلع عليه ، فالسما تستأذن ربها أن تهبه ، والارض تستأذنه أن تخسف به ، والبحر يستأذنه أن يغرقه ، كما في مسند الإمام أحمد عن النبي صلى الله عليه وسلم « ما من يوم الا والبحر يستأذن ربه أن يغرق ابن آدم ، والملائكة تستأذنه أن تعاجله وتهلكه (١) والرب تعالى يقول: دعوا عبيدي فأنا أعلم به أذنشأته من الارض ، ان كان عبدكم فشأنكم به ، وان كان عبيدي فني الى عبيدي ، وعزتي وجلالي إن أتاني ليلا قبلته ، وأن أتاني نهارا قبلته ، وان تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ، وان تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا ، وان مشى الى هرات اليه ، وان استغفرني غفرت له ، وان استعاني أقلت له ، وان تاب الي تبت عليه . من أعظم مني جودا وكرما وانا الجواد الكريم ؟ عبيدي بيتوت ببارزوني بالعظام ، وانا أكاؤهم في مضاجعهم ، وأعرسهم على فرشهم ، من اقبل اليّ تلقيته من بعيد ، ومن ترك لأجلي أعطيته فوق المازيد ، ومن تصرف بحولي وقوتي أنت له الحبيب ، ومن اراد مرادي ردت ما يريد . أهل ذكري أهل مجالستي ، وأهل شكري أهل زيادتي ، وأهل طاعني أهل كرامتي ، وأهل معصيتي لا اقنطهم من رحمتي ، ان تابوا اليّ فأنا حبيبتهم ، وان لم يتوبوا فأنا طيبهم ، أبتليهم بالمصائب ، لاظهرهم من المعاييب »

(١) لعل المراد ان الانسان عرضة للهلاك في البر والبحر بمجهله وخطايا ، لولا عناية الله به وتسخيره هذه المخلوقات له . والكلام عن لسان الحال ، قد يكون أفصح من لسان المقال

﴿ نموذج آخر من الكتاب ﴾

في بعض منازل السير الى الله تعالى

فما تقدم هو نظر الصوفية في المصيبة، واختلاف مشاهد أصناف الناس فيها بين من يعتبر ويندم ويزداد بعدها صلاحا، ومن يرى انه مجبور ومعدور بالقدر، ومن يرى انه مؤد لحق الطبيعة وظائف الاعضاء الخ وذلك جاء كله في مباحث التوبة. واما هذا النموذج فهو من نظرم في سير السالكين الى الله تعالى أي الى معرفته العليا وما لهم من المنازل في طريقهم

﴿ فصل ﴾

ثم ينزل القلب منزل الاعتصام وهو نوعان: اعتصام بالله، واعتصام بمجل الله. قل الله تعالى (واعتصموا بمجل الله جميعا ولا تفرقوا) وقال (واعتصموا بالله هو مولاكم، فنعم المولى ونعم النصير) والاعتصام افتعال من العصمة وهو التمسك بما يعصمك ويمنعك من المحذور والخوف، فالعصمة الحية، والاعتصام الاحياء، ومنه سميت القلاع المواضع، لمنعها وحمايتها. ومدار السعادة الدنيوية والاخرية على الاعتصام بالله، والاعتصام بمجله، ولا نجاة الا لمن تمسك بهاتين العصمتين.

فاما الاعتصام بمجله فانه يعصم من الضلالة، والاعتصام به يعصم من الهلكة، فان السائر الى الله كالسائر على طريق نحوه مقصده، فهو محتاج الى هداية الطريق والسلامة فيها، فلا يصل الى مقصده الا بعد حصول هذين الأمرين له، فالدليل كفيل بعصمته من الضلالة، وان يهديه الى الطريق، والعدة والقوة والسلاح بها تحصل له السلامة من قطاع الطريق وآفتها، فلا اعتصام بمجل الله يوجب له الهداية واتباع الدليل، والاعتصام بالله يوجب له القوة والعدة والسلاح والمادة التي يستلزم بها في طريقه، ولهذا اختلف عبارات السلف في الاعتصام بمجل الله بعد إشارتهم كلهم الى هذا المعنى، فقال ابن عباس: تمسكوا بدين الله. وقال ابن مسعود: هو الجماعة. وقال: عليكم بالجماعة فانها حبل الله الذي أمر به، وإن ما تكرهون في الجماعة والطاعة، خير مما تحبون في الفرقة. وقال مجاهد وعطاء: بهد الله. وقال قتادة والسدي وكثير

١٩٨ وصف القرآن . الاعتصام بالطاعة مع مراقبة الامر (المنار - ج ٣ م ١٧)

من أهل التفسير : هو القرآن . قال ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : « ان هذا القرآن هو حبل الله ، وهو النور المبين ، والشفاء النافع ، وعصمة من تمسك به ، ونجاة من تبمه » وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن : « هو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الالهواء ، ولا يخلف به الأسن ، ولا يخلق عن كثرة الود ، ولا تشبع منه العلماء » وقال مقاتل : بامر الله وطاعته ، ولا تفرقوا كما تفرقت اليهود والنصارى . وفي الموطأ من حديث مالك عن سهيل بن أبي صالح عن ابيه عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله يرضى لكم ثلاثا ويسخط لكم ثلاثا : يرضى لكم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ، وان تناصحوا من ولاه الله امركم . ويسخط انكم قيل وقال ، واضاعة المال ، وكثرة السؤال » رواه مسلم في الصحيح

قال صاحب المنازل : « الاعتصام بحبل الله هو المحافظة على طاعته مراقبة لا أمره » ويريد بمراقبة الامر ان قيام بالطاعة لاجل ان الله أمر بها وأوجب ، لا ليجرد العادة أو لعلها باعثة سوى امثال الامر ، كما قال خلق بن حبيب في التقوى : هي العزم بطاعة الله على نور من الله ، ترجو ثواب الله ، وترك معصية الله على نور من الله . تخاف عقاب الله . وهذا هو الايمان والاحتساب المشرابي في كلام النبي صلى الله عليه وسلم كقوله « من صام رمضان إيمانا واحتسابا - ومن قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا - غفر له » فالصيام والقيام هو الطاعة ، والايمان مراقبة الامر (١) وإخلاص الباعث هو ان يكون الايمان الآمر (٢) لا شي سواه . والاحتساب رجاء ثواب الله ، فالاعتصام بحبل الله يعني من البدعة وآفات معصية والله أعلم

(١) ضبط في نسختنا الأمر بصيغة اسم الفاعل وفي نسخة أخرى الأمر بصيغة المصدر وهي الموافقة لقول صاحب المنازل ونسبى ، فاختارها (٢) لم يوضع لهذه في نسختنا علامة المد ، وفي نسخة الأمر ، والصواب ما اخترناه . أي ان هذه هي التي يجب ان تكون اسم فاعل معرف والأولى هي المصدر .

(المنازع ج ٣ م ١٧) الاعتصام وكونه ٣ درجات - اعتصام العامة ١٩٩

﴿ فصل ﴾

وأما الاعتصام به فهو التوكل عليه ، والامتناع به ، والاحتماء به ، وسؤاله ان يحمي العبد ويمنه ويعصمه ويدفع عنه ، فان ثمرة الاعتصام به هو الدفع عن العبد ، والله يدفع عن الذين آمنوا ، فيدفع عن عبده المؤمن اذا اعتصم به كل سبب يفضي الى العطب ، ويحميه منه ، فيدفع عنه الشبهات والشهوات ويكده عدوه الظاهر والباطن ، وشر نفسه . ويدفع عنه موجب أسباب الشر بعد انقادها ، بحسب قوة الاعتصام به وتمكنه ، فتفقد في حقه أسباب العطب فيدفع عنه موجباتها ومسبباتها ، ويدفع عنه قدره بقدره ، وارادته بارادته ، ويميزه به منه .

فصل

وأما صاحب المنازل فقال ﴿ الاعتصام بالله الترقى عن كل موهوم ﴾ الموهوم عنده ما سوى الله تعالى . والترقى عنه الصعود من شهود نفعه وضره ، وعطائه ومنعه وتأثيره ، الى الله تعالى . وهذه إشارة الى الفناء ، ومراده الصعود عن شهود ما سوى الله الى الله . والكمال في ذلك الصعود عن ارادة ما سوى الله الى ارادته . والاتحاد يفسره بالصعود عن وجود ما سواه الى وجوده ، بحيث لا يرى غيره وجودا البتة ، ويرى وجود كل موجود هو وجوده ، فلا وجود لغيره الا في الوهم الكاذب عنده .

قال ﴿ وهو على ثلاث درجات : اعتصام العامة بالخير استسلاما وإذعانا بمصدق الوعد والوعيد ، وتعظيم الأمر والنهي ، وتأسيس المعاملة على اليقين والانصاف ﴾ يعني أن العامة اعتصموا بالخير الوارد عن الله استسلاما من غير منازعة ، بل إيمانا واستسلاما ، وانقادوا الى تعظيم الأمر والنهي والإذعان لها ، والتصديق بالوعد والوعيد ، وأسسوا معاملتهم على اليقين ، لا على الشك والتردد (١) وسلوك طريقة الاحتياط كما قال القائل :

زعم المنجم والطبيب كلاهما لا تمث الأجساد قلت اليكما
ان صح قولكما فليست بخاسر أو صح قولني فالحسار عليكما

(١) وفي نسخة : لا على شك والترديد . ولعله وتردد

٢٠٠ الانصاف . اعتصام الخاصة بصون الارادة عما سوى الله (المنار - ج ٣ م ١٧)

هذه طريق أهل الريب والشك ، يقومون بالامر والنهي احتياطا ، وهذه الطريق لا تنجي من عذاب الله ولا يحصل لصاحبها السعادة ولا توصله الى المآمن .
وأما الانصاف الذي أسسوا معاملتهم عليه ، فهو الانصاف في معاملتهم الله وحالته . فأما الانصاف في معاملة الله ، فأن يعطي المعبودية حقها ، وأن لا ينازع ربه صفات الهيئته التي لا تليق بالمبدول لا تنبغي له ، من العظمة والكبرياء والجبرية . ومن انصافه لربه ان لا يشكر سواه على نعمه وينساء ، ولا يستعين بها على معاصيه ، ولا يحمد على رزقه غيره ، ولا يعبد سواه ، كما في الاثر الالهي « أني والجن والانس في نبي عظيم : أخلقُ وُعبدُ غيري ، وأرزقُ ويشكر سواي » وفي أثر آخر « ابن آدم ما انصفني ، خيري اليك نازل ، وشرك اليّ صاعد ، أتجيب اليك بالنعم ، وأنا عنك غني ، وتبغض اليّ بالمعاصي وأنت فقير اليّ ، ولا يزال الملك الكريم ، يعرج اليّ منك بعمل قبيح » وفي أثر آخر « يا ابن آدم ! ما من يوم جديد ، الا يأتيك من عندي رزق جديد ، وتأتي عنك الملائكة بعمل قبيح ، تأكل رزقي وتعصبي ، وتدعوني فاستجيب لك ، وتسألني فأعطيك ، وأنا أدعوك الى جنتي فتأبى ذلك ، وما هذا من الانصاف » وأما الانصاف في حق العبيد فأن يعاملهم بمثل ما يحب أن يعاملوه به . ولعمري الله هذا الذي ذكر أنه اعتصام العامة هو اعتصام خاصة الخاصة (١) في الحقيقة ، ولكن الشيخ ممن رفع له علم القناء فشر إليه ، فلا تأخذه فيه لومة لائم ، ولا يرى مقاما أجمل منه .

﴿ فصل ﴾

قال (واعتصام الخاصة بالانقطاع ، وهو صون الارادة قبضا ، واسبال الخلق عن الخلق بسطا ، ورفض العلائق عزما ، وهو التمسك بالعمرة الوثقى) يريد انقطاع النفس عن اغراضها من هذه الوجوه الثلاثة ، فيصون إرادته ويقبضها عما سوى الله سبحانه ، وهذا شبيه بحال أبي يزيد فيما أخبر به عن نفسه لما قيل له : ما تريد ؟ فقال : أريد أن لا أريد

{١} وفي نسخة الخاصة

(المنار - ج ١٧) حقيقة التصوف، وصايا الأنجيل والاسلام والنصرانية ٢٠١

(الثاني) إسبال الخُلُق على الخلق بسطا . وهذا حقيقة التصوف فإنه كما قال أبو بكر الكتاني : التصوف خُلُق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف . فإن حسن الخُلُق وتزكية النفس بمكارم الاخلاق ، يدل على سعة قلب صاحبه ، وكرم نفسه وسجيته . وفي هذا الوصف يكف الاذى ويحمل الاذى ، ويوجد الراحة ، ويدير خدع الأيسر لمن لطم الأيمن ، ويعطي رداءه لمن سلبه قميصه ، ويمشي ميالين مع من سخره ميلا (١) وهذا علامة انقطاعه عن حظوظ نفسه واغراضها .

وأما رفض العلائق عزما ، فهو العزم التام على رفض العلائق وتركها في ظاهره وباطنه ، والاصل هو قطع علائق الباطن ، فتى قطعها لم تضره علائق الظاهر ، فتى كان المال في يدك وليس في قلبك لم يضرك ولو كثر ، ومتى كان في قلبك ضررك ولو لم يكن في يدك منه شيء . قيل للامام أحمد : أياكون الرجل زاهدا ومعه الف دينار ؟ قال : نعم على شريطة ألا يفرح اذا زادت ولا يحزن اذا نقصت . ولهذا كان الصحابة أزهد الأمة مع ما بأيديهم من الأموال ، وقيل لسفيان الثوري : أياكون ذو المال زاهدا ؟ قال : نعم إن كان اذا زيد في ماله شكر ، وان نقص شكر وصبر . وانما يحدد قطع العلائق الظاهرة في موضعين : حيث يخاف منها ضررا في دينه ، أو حيث لا يكون فيها مصلحة راجعة ، والكمال من ذلك قطع العلائق التي تصير

(١) قوله : وفي هذا الوصف الخ يريد به تزكية النفس ، وهو غير حسن الخلق فإن التزكية تهذيب فهمي مبدأ ، وحسن الخلق غاية . وفي طور التزكية والتهذيب يحسن ما ذكره من العمل بوصايا الأنجيل ، كقوله : من لطمك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر . الخ ودين المسيح كله تمهيد لدين محمد عليهما السلام ، بل هما دين واحد جاء القسم الاول منه تمهيدا للثاني ، كما اخبر المسيح اصحابه بأنه لا يستطيع ان يقول لهم كل شيء ، وبشرتهم بأنه سيأتي بعده البارقليط الذي يقول كل شيء من حقائق الدين . وهو محمد (ص) بدليل انه لم يجيئ بعده في غيره ، وانه هو الذي بين كل شيء . وفصل بين السائرين الى الله تعالى بالتزكية والتهذيب وبين الواصلين اليه ، وبين فضيلتي العدل والاحسان وغير ذلك

٢٠٢ اعتصام خاصة الخاصة . قرب العبد من ربه (المنار - ج ٣ م ١٧)

كلايب على الصراط تمنعه من العبور ، وهي كلايب الشهوات والشبهات ، ولا يضره ما تعلق به بعدها .

﴿ فصل ﴾

قال (واعتصام خاصة الخاصة بالاتصال ، وهو شهود الحق تفريدا ، بعد الاستحذاء له تعظيما ، والاشتغال به قربا) لما كان ذلك الانقطاع ، موصلا الى هذا الاتصال ، كان ذلك المتوسطين ، وهذا عنده لأهل الوصول . ويعني بشهود الحق تفريدا ، أن يشهد الحق سبحانه وحده منفردا ولا شيء معه ، وذلك لفناء الشاهد في الشهود ، والحوالة في ذلك عند القوم على الكشف . وقد تقدم ان هذا ليس بكمال ، وان الكمال ان يبقى بمراده عن مراده نفسه . واما فناؤه بشهوده عن شهود ماسواه ، فدون هذا الفناء في الرتبة كما تقدم .

وأما قوله بعد الاستحذاء له تعظيما . فالشيخ قدس الله روحه لكثرة طمعه بالاستعارات عبر عن معنى لطيف عظيم بالغة الاستحذاء التي هي استعمال من المحاذاة ، وهي المقابلة التي لا يبقى فيها جزء من المحاذي خارجا عما حاذاه . بل قد واجهه وقابله بكميته وجميع اجزائه . (١) ومراده بذلك القرب وارتفاع الوسائط المانعة منه ، ولا ريب ان العبد يقرب من ربه ، والرب يقرب من عبده ، فاما قرب العبد فكقوله تعالى (واسجد واقترب) وقوله في الأثر الاسمي « من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا » وكقوله « وما تقرب اليّ عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب اليّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، فبي يسمع وبني يبصر وبني يبطش وبني يمشي » وفي الحديث الصحيح « أقرب

(١) هذا التفسير للاستحذاء لم نجده في معاجم اللغة كلسان العرب والقاموس وغيره بل المعروف فيها ان معنى استحذى فلان فلانا ، طلب منه أن يلبسه حذاء . كاستطعمه وامتكساه . واظن أن الاستحذاء في كلام الهروي بالخاء المعجمة وهو الخضوع والانكسار لله تعالى . وانما تكلف المصنف له هذا التفسير لأنه وجد نسخ المنازل تذكره الاستحذاء بالمهمل

ما يكون الرب من عبده في جوف الليل الأخير « وفي الحديث أيضا « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد » وفي الحديث الصحيح لما ارتفعت أصواتهم بالتكبير مع النبي صلى الله عليه وسلم في السفر فقال « يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم ، انكم لا تدعون أصم ولا غائبا ، ان الذي تدعونه سميع قريب ، أقرب الى أحدكم من عنق راحلته » فمهر الشيخ عن طلب القرب منه ورفض الوسائط الحائلة بينه وبين القرب المطلوب الذي لا تفرغ من عابديه وأوليائه الا به ، بالاستحذاء . وحقيقة موافاة العبد الى حضرته وقدمه وبين يديه ، عكس حال من نبذه وراء ظهره ، واعرض عنه ونأى بجانبه ، بمنزلة من ولى المطاع ظهره ، وهال بشقه عنه .

وهذا الامر لا يدرك معناه الا بوجوده وذوقه ، وأحسن ما يعبر عنه بالعبارة النبوية المحمدية ، وأقرب عبارات القوم انه التقريب برفع الوسائط التي بارتفاعها يحصل للعبد حقيقة التعميم . فلذلك قال : الاستحذاء له تعظيما . ومن اراد فهم هذا كما ينبغي فعليه بفهم اسمه تعالى الباطن وفهم اسمه القريب ، مع امتلاء القلب بحبه ، ولهج اللسان بذكره . ومن هاهنا يؤخذ العبد الى الفناء الذي كان مشمرا اليه ، عاملا عليه ،

فان كان مشمرا الى الفناء المتوسط وهو الفناء عن شهود سوى ، لم يبق في قلبه شهود لغيره البتة ، بل تصححل الرسوم وتفتى الإشارات ، ويبقى من لم يكن ويبقى من لم يزل . وفي هذا المقام يجيب داعي الفناء طوعا ورغبة لا كرها ، لأن هذا المقام امتزج فيه الحب بالتعظيم مع القرب ، وهو منتهى سفر الطالبين لمقام الفناء وان كان هذا مشمرا للفناء العالي ، وهو الفناء ، عن ارادة سوى ، لم يبق في قلبه مراد براحم مراده الديني الشرعي النبوي اقرآني ، بل يتحد المرادان فيصير عين مراد الرب هو مراد العبد . وهذا حقيقة المحبة الخالصة ، وفيها يكون الاتحاد الصحيح . وهو الاتحاد في المراد لا في المريد ولا في الارادة . فتدبر هذا الفرقان في هذا الموضع الذي طالما زلت فيه اقدام السالكين ، وضلت فيه افهام الواجدين . وفي هذا الباب (١) حقيقة يفنى من لم يكن ارادة وإيثارا ومحبة وتنظيما وخوفا

(١) وفي نسخة « المقام »

٢٠٤ منزلة الفرار الى الله وهو ٣ درجات - ١- فرار العامة (المنار- ج ٣ م ١٧)

ورجاء وتوكل ، ويبقى من لم يزل . وفيه ترتفع الوسائط بين الرب والعبد حقيقة ، ويحصل (١) له الاستحذاء المذكور مقرونا بغاية الحب وغاية التعظيم . وفي هذا المقام بحبيب داعي الفناء في المحبة طوعا واختيارا لا كرها ، بل يتجذب اليه انجذاب قلب الحب وروحه الذي قد ملأت المحبة قلبه ، بحيث لم يبق فيه جزء فارغ منها ، الى محبوبه الذي هو اكمل محبوب واجله واحقه بالحب . وهذا الفناء اوجبه الحب الكامل المتميز بالتعظيم والجلال والتقرب ، ومحو ما سوى مراد المحبوب من القلب ، بحيث لم يبق في القلب الا المحبوب ومراده . وهذا حقيقة الاعتصام به وبجله والله المستعان .

واما قوله : والاشتغال به قربا . أي يشغله قرب الحق عن كل ما سواه ، وهذا حقيقة القرب . ألا ترى ان القريب من السلطان جدا المقبل عليه المسكلم له لا يشتغل بشيء سواه البتة ؟ فعلى قدر القرب من الله يكون اشتغال العبد به . والله اعلم .

﴿ فصل ﴾

ومن منازل اياك نعبدا واياك نستعين (منزلة الفرار) قال الله تعالى (ففروا الى الله) وحقيقة الفرار الهرب من شيء الى شيء ، وهو نوعان : فرار السعداء وفرار الاشقياء . فرار السعداء الفرار الى الله عز وجل ، وفرار الاشقياء الفرار منه لا اليه . واما الفرار منه اليه ففرار اوليائه . قال ابن عباس في قوله تعالى (ففروا الى الله) ففروا منه اليه ، واعملوا بطاعته . وقال سهل بن عبد الله : فروا ما سوى الله الى الله . وقال آخرون : اهربوا من عذاب (٢) الله الى ثوابه بالامان والطاعة .

وقال صاحب المنازل (هو الهرب مما لم يكن الى من لم يزل ، وهو على ثلاث

درجات : فرار العامة من الجاهل الى العلم عقدا وسعيا ، ومن الكسل الى التشمير جدا وعزما ، ومن الضيق الى السعة ثقة ورجاء) يريد بما لم يكن « الخلق » وبما لم يزل « الحق » وقوله : فرار العامة من الجاهل الى العلم عقدا وسعيا - الجاهل نوعان : عدم العلم بالحق النافع ، وعدم العمل بموجبه ومتنصاه ، فكلاهما جهل افة وعرفا وشرعا

(١) وفي نسخة « ويجعل » (٢) نسخة « عقاب »

(المنار-ج ٣م ١٧) جهل العلم وجهل العمل . الكسل والجد . الضيق والسمة ٢٠٥

وحقيقة . قال موسى (أعوذ بالله ان اكون من الجاهلين) لما قال له قومه (أتخذنا هزوا) أي المستهزئين (١) وقال يوسف الصديق (وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين) أي من مرتكبي ما حرمت عليهم . وقال تعالى (إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة) قال قتادة : أجمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كل ما عصى الله به فهو جهالة . وقال غيره : أجمع الصحابة ان كل من عصى الله فهو جاهل . وقال الشاعر

ألا لا يجهلن احد علينا فنهجل فوق جهل الجاهلينا

وسمي عدم مراعاة العلم جهلا ، اما لانه لم ينتفع به فنزل منزلة الجهل ، واما لجهله بسوء ما ينبغي عواقب فعله . فالفرار المذكور هو الفرار من الجهلين - من الجهل بالعلم الى تحصيله اعتقادا ومعرفة وبصيرة ، ومن جهل العمل الى السعي النافع والعمل الصالح قصدا وسعيا .

قوله « ومن الكسل الى التشمير جدا وعزما » أي يفر من اجابة داعي الكسل الى داعي العمل والتشمير ، بالجد والاجتهاد . والجد هو هاهنا صدق العمل واخلاصه من شوائب الفتور ووعود التسويف والتهاون ، وهو تحت السين وسوف وعسى ولعل . فهي اضر شي على العبد . وهي شجرة ثمرها الخسران والندامات . والفرق بين الجد والعزم ان العزم صدق الارادة واستجماعها ، والجد صدق العمل وبذل الجهد فيه . وقد أمر الله سبحانه وتعالى بتلقي أوامره بالعزم والجد فقال (خذوا ما آتيناكم بقوة) وقال (وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتذكيرا لكل شيء فخذها بقوة) وقال (يا يحيى خذ الكتاب بقوة) أي بجهد واجتهاد وعزم ، لا تكن يأخذ ما أمر به بتردد وفتور .

وقوله « ومن الضيق الى السمة ثقة ورجاء » يريد هروب العبد من ضيق صدره بالهموم والغموم والاحزان والخاوف التي تمترية في هذه الدار من جهة نفسه ، وما هو خارج عن نفسه مما يتعلق باسباب مصالحة ومصالح من يتعاق به ، وما يتعلق به الله وبذنه وأهله وعذره ، - يهرب من ضيق صدره بذلك كله الى سعة نضاء الثقة

{ ١ } تفسير للجاهلين

٣٠٦ فرار الخاصة من الخبر الى الشهود أو من علم اليقين الى عين اليقين (المنار- ج ١٧م ٣)

بإلله تبارك وتعالى ، وصدق التوكل عليه وحسن الرجاء لجبل صنفه به ، وتوقع المرجو من لطفه وبره . ومن أحسن كلام العامة قولهم : لا هم مع الله . قال الله تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) قال الربيع بن خيثم : يجعل له مخرجا من كل ماضق على الناس . وقال أبو العالية : مخرجا من كل شدة . وهذا جامم لشدائد الدنيا والآخرة ومضايق الدنيا والآخرة . فان الله يجعل المتقي من كل ماضق على الناس واشتد عليهم في الدنيا والآخرة مخرجا . وقال الحسن : مخرجا مما نهاه عنه ، (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) أي كافي من يثق به في نوائبه ومهماته - يكفيه كل ما أهمه . والحسب الكافي « حسبنا الله » كافينا الله . وكما كان العبد حسن الظن بالله حسن الرجاء له صادق التوكل عليه ، فن الله لا يخيب أهله فيه ألبتة . فانه سبحانه لا يخيب أهل آمل ، ولا يضيع عمل عامل . وعبر عن الثقة وحسن الظن بالصفة ، فانه لا أشرح للصدر ولا أوسع له بعد الايمان من ثقته بالله ورجائه له وحسن ظنه به

﴿ فصل ﴾

قال (وفرار الخاصة من الخبر الى الشهود ، ومن الرسوم الى الاصول ، ومن الحظوظ الى التعريريد) يعني انهم لا يرضون ان يكون ايمانهم عن مجرد خبر حتى يترقوا منه الى مشاهدة الخبر عنه ، فيطلبون الترقى من علم اليقين بالخبر الى عين اليقين بالشهود ، كما طلب ابراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه ذلك من ربه إذ قال (رب أرني كيف تحيي الموتى ، قال : أولم تؤمن ؟ قال بلى ، ولكن ليطمئن قلبي) فطلب ابراهيم ان يكون اليقين عيانا ، والمعلوم مشاهدا . وهذا هو المعنى الذي عبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم بالشك في قوله « نحن احق بالشك من ابراهيم » حيث قال « رب أرني كيف تحيي الموتى » وهو صلى الله عليه وسلم لم يشك ولا ابراهيم حاشاها من ذلك . وإنما عبر عن هذا المعنى بهذه العبارة . هذا احد الأقوال في الحديث . وفيه قول ثان انه على وجه النفي ، أي لم يشك ابراهيم حيث قال ما قال ، ولم يشك نحن . وهذا القول صحيح أيضا . أي لو كان ما طلبه للشك لكنا نحن احق به

(المنار-ج ١٧م ١٧) الفرار من الرسوم الى الاصول. غلاة التصوف وجمود أهل الرسوم ٢٠٧

منه ، لكن لا يطلب ما طلب شكاً ، وإنما طلبه طمأنينة .

فالمراتب ثلاث : علم يقين يحصل عن الخبر ، ثم يتجلى (١) حقيقة الخبر عنه للقلب أو البصر حتى يصير العلم به عين يقين ، ثم يباشره ويلبسه فيصير حق يقين ، فعلمنا بالجنة والنار الآن علم يقين ، فإذا أزلت الجنة المتقين في الموقف ، وبُـرُزَت الجحيم للفاوتين ، وشاهدوها عياناً ، كان ذلك عين يقين ، كما قال تعالى (لترون الجحيم * ثم لترونها عين اليقين) فإذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار فذلك حق اليقين . وسنزيد ذلك ايضاحاً ان شاء الله تعالى اذا انتهينا اليه .

وأما قوله « ومن الرسوم الى الاصول » يريد بالرسوم ظواهر العلم والعمل ، وبالاصول حقائق الايمان ومعاملات القلوب وأذواق الايمان ووارداته ، فيفر من إحكام العلم والعمل الى خشوع السر للعرفان ، فان أرباب العزائم في السير لا يقتنعون برسوم الاعمال وظواهرها ، ولا يمتدنون الا بأرواحها وحقائقها ، وما يثبت لهم التعرف الإلهي وهو نصيبهم من الامر . والتعرف الإلهي لا يقتضي مفارقة الامر كما يظن قطاع الطريق وزنادقة الصوفية ، بل يستخرج منهم حقائق الامر واستمرار العبودية وروح المعاملة ، فحظهم من الامر حظ العالم بمراد المتكلم من كلامه نصر يحا وإيماء وتنبهها وإشارة . وحظ غيرهم منه حظ التالي له حفظاً بلا فهم ولا معرفة لمراده ، وهؤلاء احوج شيء الى الأمر لانهم لم يصلوا الى تلك التعرفات والحقائق الالهية ، فالمحافظة عليه لهم علماً ومعرفة وعملاً وحالاً ضرورية لا عوض لهم عنه البتة .

وهذا القدر هو الذي فات الزنادقة وقطاع الطريق من المنتسبين الى طريقة القوم ، فانهم لما علموا أن حقائق هذه الاوامر هي المطلوبة ارواحها ، لا صورها واشباحها ورسومها ، قالوا : نجتمع هممنا على مقاصدها وحقائقها ، ولا حاجة لنا الى رسومها وظواهرها ، بل الاشتغال برسومها اشتغال عن الغاية بالوسيلة ، وعن المطلوب لذاته بالمطلوب لغيره . وغرهم ما رأوا فيه الواقفين مع رسوم الاعمال وظواهرها دون مراعاة حقائقها ومقاصدها وارواحها ، فرأوا نفوسهم أشرف من نفوس أولئك وهمهم اعلى ، وانهم المشتغلون باللب وأولئك بالقشر ، فتركب من تقصير هؤلاء

(١) لعلها تتجلى بتأئين ، وفي نسخة أخرى « تتجلى » بناء ونون

٢٠٨ عبادة القلب والجوارح. الفرار من الحظوظ الى التجريد (المنار- ج٣ م١٧)

وعدوان هؤلاء تمطيل جملة الامر - هؤلاء عطلوا سره ومقصوده وحقيقته ، وهؤلاء عطلوا رسمه وصورته ، فظنوا انهم يصلون الى حقيقة ٤ ، من غير رسمه وظاهره ، فلم يصلوا الا الى السكر والزندقة ، وجحدوا ما علم بالضرورة بحجي الرسل (١) به . فهؤلاء كفار زنادقة منافقون ، وأولئك مقصرون غير كاملين . والقائمون بهذا وهذا هم الذين يرون أن الامر متوجه الى قلوبهم قبل جوارحهم ، وان على القلب عبودية في الامر كما على الجوارح ، وان تمطيل عبودية القلب بمنزله تمطيل عبودية الجوارح وان كمال العبودية قيام كل من الملك وجنوده (٢) بعبوديته ، فهؤلاء خواص اهل الايمان ، واهل العلم والعرفان .

﴿ فصل ﴾

قوله « ومن الحظوظ الى التجريد » يريد الفرار من حظوظ النفوس على اختلاف مراتبها ، فانه لا يعرفها الا الممتنون بمعرفة الله ومراده وحقه على عبده ، ومعرفة نفوسهم وأعمالهم وآفاتهما . ورب مطالب عالية لقوم من العباد هي حظوظ لقوم آخرين يستغفرون الله منها ويفرون اليه منها ، يرونها حائلة بينهم وبين مطلوبهم . وبالجملة فالحظ ماسوى مراد الله الديني منك كائن ما كان ، وهو ما يبرح حظ محرم الى مكروه الى مباح الى مستحب غيره احب الى الله منه ، ولا يتميز هذا الا في مقام الرسوخ في العلم بالله وامره ، وبالنفس وصفاتها واحولها . فهناك يقين له الحظوظ من الحقوق ، ويفر من الحظ الى التجريد . واكثر الناس لا يصلح لهم هذا لانهم انما يعبدون الله على الحظوظ وعلى مرادهم منه ، واما يجرب عبادته على مراده من عبده :-

فتلك منزلة لم يطأها احد سوى نبي وصديق من البشر
والزهدي زهدك فيها ليس زهدك في ما قد أيسح لنا في محكم السور
والصدق صدقك في تجربدها وكذا (م) الا خلاص تخلصها ان كنت ذا بصير
كذا توكل ارباب البصائر في تجريد أعمالهم من ذلك السكر
كذاك توبتهم منها فهم ابداء في توبة او يصبروا داخل الحفر

(١) وفي نسخة الرسول (٢) يريد بالملك القلب ومجنوده الاعضاء

وبالجملة فصاحب هذا التجريد لا يتنسم من الله بامر يسكن اليه دون الله ، ولا يفرح بما حصل له دون الله ، ولا يأسى على ما فاتته سوى الله ، ولا يستغني برتبة شريفة وان عظمته عنده او عند الناس ، فلا يستغني الا بالله ، ولا ينقر الا الى الله ، ولا يفرح الا بموافقة لرضة الله ، ولا يحزن الا على ما فاتته من الله ، ولا يخاف الا من ستوطة من عين الله ، واحتجاب الله عنه : فكله بالله ، وكله لله ، وكله مع الله ، وسيره دائما الى الله ، قد رفع له علم فشم اليه ، وتجرد له مطلوبه فعمل عليه ، تناديه الحفظ : الي ! وهو يقول : انما اريد من اذا حصل لي حصل لي كل شيء ، واذا فاتني فاني كل شيء ، فهو مع الله مجرد عن خلقه ، ومم خلقه مجرد عن نفسه ، ومم الامر مجرد عن حظه - اعني الحظ المزامح للامر ، واما الحظ المعين على الامر ، فانه لا يحطه تناوله عن مرتبته ، ولا يسهطه من عين ربه .

وهذا ايضا موضع غلط فيه من غلط من الشيوخ فظنوا ان ارادة الحظ تقصر في الارادة ، والتحقق فيه ان الحظ نزعان : حظ يزاحم الامر ، وحظ يوزر الامر فينفذه . الاول هو المذموم والثاني محمود . وتناوله من تمام العبودية . فهذا لون وهذا لون . (لنموذج بقية)

(المنار) : رأيتم ايها المبشرون الذين تدعوننا الى النصرانية هذه المعارف العالمية في الايمان ، والعلم بالله وبتراي الانسان ، وهذه التفضيعة والكسالة في الاسلام ؟ - هذا النموذج نقطة من بحر كلام علمائنا في منازل السالكين المعارفين . رأيتم من ارتقى في الدين الى الذروة العليا يمكن اقناعه بأن النزول عنها الى الدرجات التي هي دونها ، خير له من البقاء على ارتقائه وكله فيها ؟ ارضى من هذا حظه من الدين والايمان ان يشغل خياله ولسانه باسم يسوع ، وصورة يسوع ، وتثيت يسوع ، وفداء يسوع ، الذي لا يعقل ؟ اما والله لو كان يسوع وتلاميذه يسوع ويوحنا الذي عمد يسوع ومسح رأسه ودعا له بالبركة ، ومعهم موسى واسرائيل وكل انبياء ابنائه احياء وجاءهم محمد (عليهم الصلاة والسلام) بهذا القرآن لا وسعهم الا اتباعه ، وقد كانوا كلهم على الحق والتوحيد الذي نسجتموه بالتثيت والقداء فاربعوا على ظامكم ، وادعوا الى دينكم البراهمة والبوذيين وادناهم الذين كانت لهم ثلوث كثنالوثكم ، فأولئك لا يبعد ان ينتقلوا من ثلوث الى ثلوث . واما صاحب التوحيد الذي هو اكل واطلى معارف البشر ، فلا يترك التوحيد الى ما هو دونه .

٢١٠ رأي سياسي هولندي في حاضر الاسلام ومستقبله (المنازع ج ١٧م ١٧)

الاسلام يقاوم نفوذ النصرانية*)

الاسلام في المستقبل سيكون نظير الدين الاسرائيلي بمابق نفسه على حاجات العصر الحديث ولا يدعم النصرانية تغلبه وتسلبه ابتداء

(مقدمة للمترجم)

ان نشوء الاسلام في المستقبل سيعيد تاريخ الدين اليهودي الحديث بدرجة مشابهة، فالملشرون بالانجيل الذين لا يزالون يتوقعون انضمام كل الاديان الى النصرانية لا تحقق احلامهم فيما يتعلق بالاسلام، لان الدين الاسلامي سيظل ديناً قوياً نشيطاً نظير الدين اليهودي، ويطبق نفسه نظير الدين اليهودي على حاجات العصر المتغيرة

هذا هو رأي الدكتور (كريستيان سنوك هرونج) الهولندي الذي قضى ربع قرن يدروس القضايا الاسلامية وشريعة الاسلام وفلسفته

وما يقال عن هذا الاستاذ : انه اكثر من خيالي ونبي متعرض، فهو اعلم علماء عصره في الاسلام - لانه لا يعرف تاريخ الاسلام وشريعته وفلسفته معرفة دقيقة فقط، ولكنه قضى ربع قرن يدرس الاسلام من وجه علاقته بالمؤسسات الدينية والسياسية الاخرى

وقد ارسلته جامعة لندن في هولندا على سبيل المبادلة الى الولايات المتحدة للمرة الاولى ليلقي في امهات كلياتها العامة اربع محاضرات في نتائج درسه الاسلام، وقد فصل في هذه المحاضرات زيارته لمكة (مدينة الاسلام المقدسة) فانه قضى ثمانية اشهر ضمن تلك المدينة المسورة وكان فيها عضواً من بطانة رجل مسلم، فآتم هناك الفرائض الدينية التي كانت يقوم بها يوميا مائتا الف من حجاج مكة، وتعمد الجوامع هناك، وسمع المحاضرات التي لم يكن يسمعها في الزمن الماضي غير المسلمين، ولم من قصة رويت عن نصارى اضلوا الطريق ويهود مغامرین قتلوا في مكة لانهم لم بانهم تخرجوا على الدخول الى المدينة الاسلامية المقدسة ؟ واذا لم تصدق هذه الاخبار فقد ثبت ان كثيرين من غير المسلمين طردوا من المدينة باهانة عند ما ظهر انهم غير مسلمين

٥) انتهى الدكتور (كريستيان سنوك هرونج) الهولندي في امركة عاجزة في حال المسلمين، الدينية والاجتماعية وه شتاهم، فخرجوا لمعريده، بدء الهدى السورية التي اثار في (نيويورك) ووضعت لها هذا العنوان : وسندهم بقعة في منظر سيرة الدكتور، فقلنا ما عليها مع تصحيح بعض الالفاظ لما فيها من الغرر للمسلمين

(المراجع ٣م ١٧) رأي الدكتور هرغرنج في الاسلام ومستقبله ٢١١

ثم ان الدكتور هرغرنج ليس يعرف اللغة العربية فقط بل انه قبل ذهابه الى مدينة الاسلام المقدسة قضى عدة سنين يدرس التاريخ الاسلامي ، وكانت معرفته هذه للاسلام وسيلة استطاع بها ان يحافظ على تكملة مدة ثمانية اشهر قضاها في مكة ، وبلغ منه انه خدع الكلاب الشاردة التي تفرق المسلم عن غير المسلم لانها تعرفه بقوة الشم فتهاجمه وتفضع امره .

وقد وضع الدكتور المذكور بعد اقامته في مكة فصلا فيها وفي تاريخها وحياتها العمومية الحاضرة يعتبر الكتابة الوحيدة التامة عن هذه المدينة الحمية وليس اهتمام هذا الدكتور بالاسلام اهتمام طالب علم فقط ، فقد قضى سبع عشرة سنة في الهند الشرقية الهولندية مستشارا لحكومة هولندا في المسائل المتعلقة بإدارة سكان الهند الشرقية الوطنيين ، واستطاع بدرسه الاسلام دوسا عميقة واسعا ان يضم هولندا السياسة التي تجري عليها مستعمراتها الاسلامية التي تحتوي على نحو من خمسة وثلاثين مليوناً من تباع النبي محمد

ومن مضي سبع سنين عاد الدكتور الى هولندا ليكون استاذ اللغتين العربية والسلافية في جامعة (ليدن) فقبل هذه الوظيفة على شرط ان يبقى مستشارا عمومياً للحكومة في المسائل الاسلامية

وزيادة على ذلك انه ساه في اكثر البلدان الاسلامية ، وكان في خلال ربع قرن مضى يراقب الحركات النامية على احداث تغيير ديني وسياسي في العالم الاسلامي كله ، ولذلك كانت صورته التي صور بها حالة الاسلام الحاضرة ، والطريقة التي جرى عليها في تتبع لشوءه في المستقبل ، امرين خارجين عن المؤلف الذين يعتبرون ان الاسلام لا يزال بربريا في شكله الشرقي ، بل انه يرى ان الحواجز بين الشرق والغرب تهدم بالتدريج تهتما يؤدي الى امتزاجهما السريع في خلال سنين تأتي وقد اتى هذا الدكتور محاضرة بالاسم في جامعة كولومبيا في الاسلام هذا ما قاله فيها : —

﴿ محاضرة الدكتور هرغرنج في الاسلام ﴾

ان المدينة الاسلامية كانت في خلال الف سنة مضت ترتفع الى الدرجة الحاضرة النهائية ، فمن مضي الف سنة اعتقد المسلمون ان احوالهم الدينية راضية تمام الرضى ، وكان المعتقد الديني عندهم مسألة مقررة ، وكان السواد الاعظم من المسلمين

يقولون بعصمة الدين الاسلامي و يقبلون حقيقة المكشوفة بدون ريب، نظير اجماع النصارى على عصمة الكنيسة الكاثوليكية . وكانت للاسلام شرائع تتعلق بالحياة في كل اطوارها من شخصية وعمومية وفردية واجتماعية وعلى الجملة ان الاسلام كله قام على استقلال المسلمين السياسي ، فقد كانوا في دائرتهم الخصوصية احرارا مستقايين اعتبروا العالم كله ملكا لهم ، فالذي لم يكن لهم كان عليهم ان يفتحوه ، وبذلك كان حكم السيف ممكنا اذا لم يكن محتملا ، ولكن ثبتت استحالة في الالف سنة التي مضت . ففي خلال القرن الماضي تعرى الاسلام من استقلاله السياسي باعتداء الدول الاوروبية التدريجي عليه ، وتبع عن ذلك ان الاسلام اضطر ان يعدل آراءه واعماله ، وتأكد للمسلمين انه يجب عليهم ان يحسبوا حسابا لما تفعله الامم الاخرى ويحصل عليه وقد نجمت عن هذه الحالة مسألتان - الاولى منهما هي : هل يستطيع الاسلام الذي يرشد حياة تابعيه وأفكارهم ان يجاري هذا التغير عند ما يفقد استقلاله السياسي الذي قام عليه ؟

ان الذين درسوا القضايا الاسلامية استنتجوا ان القضايا الروحية ، متصلة تمام الاتصال بالقضايا المادية في الدين الاسلامي ، بحيث ان سقوط الاستقلال السياسي يستلزم سقوط الاسلام نفسه ، ولكني لا أوافقهم على هذا القول
اما المسألة الثانية فهي اهم من الاولى وهي : هل اذا كان الاسلام قادرا على احتمال ذلك التغير - كما اعتقد انه قادر - يقدر ان يطبق نفسه على قضايا الحيات الحديثة بطريقة يستطيع بها تابعوه بان يكونوا في مقدمة الصفوف في ارتقاء العالم ومدنيته ؟ هاتان هما المسألتان مع كل القضايا الاخرى المتفرعة عنهما ما أريد البحث فيه على مساهم الامر بكيين رجاء ان اوقف الغربيين على الانقلاب العظيم الجاري في العالم الشرقي وجاري هذا الانقلاب
فشل محاولة تنصير المسلمين

والامر الجوهري في هذا الشأن هو الوجه المنظور فيه الى قضية مستقبل الاسلام ، فاذا نظرتم اليها بعيني المرسل النصراني الديني فلا بد انكم تستنتجون انه لا يرجي شيء كثير من نشوء الاسلام ، لان الاسلام قبل صيرورته كفؤا يجب عليه ان يتخذ النصرانية أولا . ولكن هذا هو اسوأ رأي يمول عليه ، وأما مسرور بقولي : انه ليس وأيا شاملا ، فالمسلمون لا يقصدون ان ينصروا ، وقد احتاطوا اعظم احتياط لهذا الامر الذي ادركه كل المبشرين انصارى المتورين في الاراضي الاسلامية ، ففي

الهند الشرقية الهولندية - حيث قضيت سبع عشرة سنة ملتصقا تمام الالتصاق بالمؤسسات الإسلامية - لا يقدر المرسل النصراني الذي ان يربح تأييد لدينه، نعم يوجد كثيرون من المدعوين مسلمين ولا سيما سكان د خاية البلاد الذين لم يتغافل اليهم دين من الإديان، وقد ابتمدوا خطوة واحدة عن حائلهم الوثنية الفطرية، ولم يمد يدهم يصعب تصيرهم. وفي بعض جهات جاوه حيث انتشرت الديانة الهندية سابقا لم يجد المرسلون النصاري صعوبة في تصير قبائل برمتها

ولكن اكثردعاة النصاري الدينيين في البلاد الإسلامية المحضة - حيث الاسلام تقليد قديم لا دين يتدين به - يرون صعوبة كبرى في تصير المسلمين، وقد تحولوا عن التبشير بالمسيح الى التهذيب والأعانة، وما داموا جارين على هذه الطريقة فالمسلمون مستعدون لقبول ما يقدمونه لهم

مثلا ان الذي تقدمه كلية روبرت الأمريكية في الاسنانة يقبله كل مسلم. وقد كان للكلية المذكورة نضل كبير في نشر المعرفة والطرائق التي يعتبرها المسلمون منتهى التقدم. ولكن الكلية المشار اليها لم تحول مسلما واحدا عن معتقده

وقد حدثت مؤخرا احد زملائي المرسلين الذي قضى عدة سنين في الجزائر ولم يفرق بين مصعب المسلمين في شالي افريقيا سألته عن العمل التبشيري الذي تقوم به الجمعيات الكاثوليكية الدينية المتعددة فقال: انه عمل ناجح ولكن لا ذكر البتة للدين فيه.

هذا وان هولندا تحكم على خمسة وثلاثين مليوناً من المسلمين ولم تعد تشكر قط في هدايتهم وتصيرهم. وكل ما ادركناه هو حاجتنا الى تعليم هؤلاء الناس الذين وكات أمورهم الينا بطيات الحوادث التاريخية. وادركنا ان افضل شيء لنفوسهم هو تطبيق دينهم الخاص ومؤسساتهم الخاصة على حاجات العصر الحاضر

ولا اعتقد ابداً ان الدين الاسلامي يسيطر امام النصرانية، لان المسلم، محتاط اشد الاحتياط لمقاومة النفوذ النصراني، فهو يعرف النصرانية التي ليست عنده شيئاً جديداً غير مأوف، فقد عرف اصلها وطريقة نشوءها وهو يعتبرها ديناً فسد بالتدريج، واخيراً نسخه وحي النبي محمد خاتم الانبياء الموحى اليهم. وبالتالي انه يعتبر النصرانية شيئاً مضى، ويرى تدنيه بها خطوة الى الوراء. ونهنا كان اعتبر الذي يقع على الاسلام في ربع القرن الجاري او نصفه فانه لا يكون تغييراً يتناول الدين بالنصرانية، اذ لا تدعو الضرورة في الاسلام الى هذا الاصلاح

٢١٤ إضفاف الاسلام بالتربية الافرنجية والتعليم (المثار - ج ٣ م ١٧)

إضفاف الاسلام بالتربية والتعليم

ولا يخفى ان كل من عاش في اراضي الاسلام لا ينكر انه حدث في النصف الاخير من القرن الماضي تغيير عظيم ، فقد اشتدت حاجة المسلمين الى كل ما هو ضروري للاشتراك في الحياة الحديثة التي تبعت دخول الغزاة الغربيين الى الشرق ، ولم يعد المسلمون المتورون اليوم يكتفون بالتربية الاسلامية القديمة ، فهم يطلبون اطباء حديثين وكيمياء حديثة ، واحداث شيء في علم الحياة ، وصاروا يطلبون دروساً اجتماعية في مدارسهم ، واللغات الحديثة والفن الحديث ، ولا يبالون من يقدم لهم هذه الاشياء اذا قدمت لهم في غير صفة دينية

سراً زمان كان فيه المسلم يعرف اخاه المسلم بالف طريقة مختلفة - كأخلاقه وطريقة معيشته ولباسه واكله ، ولكن كل هذه الميزات اخذت تزول بالتدريج ، بل ان الميزة الوحيدة التي كان بها المسلم يقدر ان يعرف اخاه في الدين سبيلها التهذيب والتعليم بقيمة معروفة من العقيدة الدينية

وقد زالت عادات اسلامية قديمة كثيرة ، واصبح كثير منها آخذاً الآن بالزوال ، فزي اللباس الشائع الذي دخل من الغرب الى الشرق يجعل تأدية الصلوات الخمس الواجبة يوماً امراً مستحيلاً ، فلم يعد المسلم الشرقي يقدر اليوم ان يصلي خمس مرات في اليوم بين شروق الشمس وغروبها (!) وهو مضطر ان يشغل ثلثي ساعات في اليوم . بل انه لا يقدر ان يحافظ على مركزه في الصناعة المنظمة التي يضطر الى مزاولتها بالتدريج ويصوم سجادة النهار في شهر رمضان

وقد كانت هذه الامور قديماً شرائع لا بد من العمل بها . اما الآن فلها نصير اشياء لا يقدر ان يحاسبها غير حجاج مكة والائمة المصنفين ، بل حدث تراخ في كل شيء فقد ساد الاسلام في وقت من الاوقات ، وتناولت سيادته التجارة ايضا ، ولكن خفت به المشاكل بالتدريج . نعم ان ضمان الحياة لا يزال عند المسلمين شكلاً من اشكال المقامرة ، ولكن الربا في استئجار المال صار ممكناً باعتباره قسماً من المقارلة الاصلية درجة تأثير الافكار الاوربية في المسلمين

تقلبت الافكار الاوربية في كل جهة من الاراضي الاسلامية ، ولكن لم يجد فيها العمور الاوربي مركزاً ولهذا انجراً على القول بان المسلمين سيستمرون على دينهم مهما اتخذوا من التهذيب والدنية الغربيين . ففي كل المداوح الاوربية الكبرى تجد كثيرين من الطلبة المسلمين ، وهم من فئة المتوربين الذين بواسطتهم تحدث التغييرات

(المنار- ج ٣ م ١٧) مقابلة بين اليهود والمسلمين، وبين القرآن والمسلمين ٢١٥

الاولى في الاسلام . وهؤلاء الشبان من أهل العلم في العالم، فقد درسوا العلوم الغربية بفروعها نظير خيرة طلبتنا الغربيين، وهم لا يقومون بكل الفرائض المطلوبة من المسلم الحقيقي ، لانهم مثاق في طرائق اللباس والمأكل والمعيشة ولكن يجري عقلم لا يزال اسلاميا ، فقد كان بين تلاميذي طلاب مسلمون، وعندما كنت اتناول مباحثهم التي يكتبونها كنت أرى فيها مظاهر فكر اسلامي في شكل مختلف كل الاختلاف عما يكتبه طلبتي الآخرون، بل كنت دائما أعرف الطالب المسلم من مباحثه .

ثم انك ترى موقف المسلمين المتورين تجاه شريعتهم وعقيدتهم القديمتين نفس موقف المتورين بين الاسرائيليين في العصر الحاضر، وكلما عشت بين المسلمين ازددت اعتقادا ان الاسلام سيجري في نشوئه على الطريقة التي سلكها الدين الاسرائيلي في تاريخه الحديث .

اهم انت الضغط الشديد الذي وقع على الدين الاسرائيلي لم يقع على الاسلام . تفرق الاسرائيليين بين اهل الارض اضطرهم الى ان يطبقوا حياتهم على شرائع غير شرائعهم، وكذلك اضطر المسلمون الى ان يتقنوا الطائفة الكبرى من شرائعهم المسيطرة على حياة الفرد اليومية من جرائد اسراع الاراضي التي احتلوها بالتمسح، والمخاطب المتعددة التي اضطرروا الى العمل بتوجيهها

الاسلام واليهودية

وبين الاسلام والدين الاسرائيلي تشابه عميق يزداد ظهورا في مخالطة المتورين الاسرائيليين والمسلمين، فالنوحيد هو قاعدة الدينين، وليس الله سبحانه في هذين الدينين الا مشترع يرى كل قسم من حياة الرجل يحتاج الى شريعة، ومن أجل ذلك صار درس الشريعة فيها عاملا مهما. ولكن الوجه الخيالي في الدينين المذكورين انحط أعطال عظميا، وأخذ يقتصر على القائمين ضمن جدران المدارس، ولم يبق له علاقة قوية بمحاجات الحياة الفعلية

وقد صار تفسير الشريعة في الدين الاسرائيلي منوطا بأحكامهم، وماعدا بعض مراسم دينية خارجية ترى أكثر المتورين الاسرائيليين مكتفين بحفظ العقائد الاولى من دينهم، أما عامة القوم فانهم يضيفون اليها طائفة من الحرافات القديمة

وترى الاسلام تأليا للدين الاسرائيلي. نخذ القرآن مثلا وانظر الى التفسير الذي حدث في خلال ثلاثة عشر قرنا مضت على تأسيس الاسلام، فالمسلم العربي الولد لا يقدر

ان يفهم آيات القرآن الا بعد درس طويل
ولا يخفى أن أكثر المسلمين يعتبرون القرآن كتاباً مغلقاً، فقد كان في وقت من
الأوقات قوة اصلاحية في العالم، وكان يقرأه كل مؤمن ورع، أما اليوم فإن الائمة
والعلمانيين يقرأونه بتجويد دون أن يتدبروا معناه، حتى أن الكلمات التي
يجودونها حجة عليهم في اشياء يصنعونها كل يوم حتى خلال التجويد
وسيقع أيضاً تغيير على الشرائع وانؤسسات الاسلامية فيحلل درسها بالتدريج
محل ممارستها بالرغم من التقليد المقدس الذي ينطق بان المعرفة بدون عمل لا فائدة
منها. وزد على ذلك ان الناشئة الاسلامية الناهضة لا تريد أن تكذب ذهنها في درس
الشريعة الاسلامية، كما هي تتعب رثائها بتجويد الآيات القرآنية، فان هذا الأمر
سيفتصر على فئة خاصة من المسلمين، كما هي الحال عند الاسرائيليين في الوقت الحاضر
ولكن نترك العادات القديمة والاعتراف بعدم اتفاق الشريعة القديمة مع حاجات
الحياة الحديثة لم يفهم منهما ان الاسرائيليين تركوا دينهم، وكذلك لا يفهم منهما ان
الاسلام سينحط. نعم ان بين المسلمين المتتوربين اليوم تهباً قليلاً، ولكن في صدورهم
ميلاً قوياً الى التمسك بدين آبائهم وتطبيقه على الحاجات الحديثة. بل ان المسلمين
المتتوربين اليوم لم يودوا بذكرون الجهاد، ولكنهم يفتنون الأنظار الى انهاء التساهل
واتساع المعرفة التي تتعامل في كل جهة من جهات العالم الاسلامي
وهنا أمر آخر هو أن المسلم المتتورب يشعر نظير الاسرائيلي المتتورب بالرابطه
الروحية التي تربطه الى اخوته في الدين وهو لا يريد ان يقطع هذه الرابطه. نعم ان
السواد الأعظم من المسلمين - ولا سيما حيث انفوذ الاوربي لا يزال خفيفاً - هم الآن حيث
كانوا من مضي خمسمائة سنة. وكذلك توجد ثمة بين الاسرائيليين لا تزال تمارس
شريعة لم تصدم بالحياة الحديثة بعد وقد كان تطبيق التقليد المقدس على حاجات المحيط
المتغير ظاهراً بأجلى مظهره في الدين الاسرائيلي. ولكن انتشاره في نشوء الدينين
الاسرائيلي والاسلامي يحمل لواحد عن أن يتوقع للاسلام نفس ما وقع في
الدين الاسرائيلي

ولا يمكن أن يقع انحطاط تدريجي في الاسلام، لانه توجد بواعث خارجية تمنه،
فالاسلام قوي ولم يضمف لاسيا في اقرن الماضي، وقلت فيه الانشطة الداخلية.
وزد على ذلك أن الاسلام يربح أكثر من التمهنية تابعين له من الوثنيين. قلندي
يصير مسلماً لا يطلب منه شيء كثير، اذ لا يوجد تقديس ولا طقس ديني ولا تعليم

طويل، فكل ما يطلب منه ان يعترف بالله أنه كلي القوة ، ومن ثم يتدرج الى تعلم الفرائض الاسلامية الدينية ، وعندما يصير مسلماً يتغير مركزه الاجتماعي ، ولكن اذا قصصر فانه يبقى دون غيره، ويظل المرسل الديني غريباً ملأاً متحجياً عنه الاسلام بمكة ومبصره علم الخطيب به

ولكنني باظهاري لكم هذه الصورة عن الاسلام والحوادث التي تدير مجراه لا اقول انه لا يوجد فيه كثير من التقاليد القديمة التي لا تصدق. فني خلال الثمانية الاشر التي قضيتها في مكة كنت احسبني مقبلاً في مدينة في القرن اثنى عشر او الثالث عشر . فهناك درست الشريعة الاسلامية بكل فروعها وكل اسرار الاسلام في الاشر الثمانية التي كانت فيها المدينة غاصة بحجاجها البالغ عددهم مائتي الف ولا توجد تجارة في مكة غير نهب الحجاج فان سكانها الوطنيين يسلبونهم كل ما يكون معهم من مال بالبيع المغبون

ولا شيء ادل على البداوة القديمة من مكة ، فهي تمثل الاسلام في المصور القديمة فلا بيوت هناك . اما وسائل النور والحرارة والماء التي اعتدناها في العصر الحاضر فهي هناك كما كانت في المصور المظلمة . ولكن الذي لم يذهب الى مكة ولا أقام في بيت اسلامي فيها ودرس في جوامعها لا يقدر ان يفهم الاسلام ، او يجد صعوبة شديدة في معرفة نشوء بلاد اسلامية

وقد كثر التحدث حينا بعد آخر عن مكة ، أنها ستفتح العالم بالقوة ، ولكنني لا ارى شيئاً يدل على ان انكسرتا ستحاول فتح مكة ، لأنها اذا اقدمت على هذا الامر جلبت لنفسها اضطرابات كثيرة في الهند . ولذلك ستظل مكة عدة سنين مركز القليد الاسلامي وعلى الجملة اني اقول ان نشوء الاسلام في القرن الجاري لا يكون شيئاً باعاً على الدهشة ، بل سيكون طبقاً للحركة العمومية التي تقرب بين الامم والاديان ، دون زوال الاحترام للتقاليد الموروثة عن السلف ، ولا بد للاسلام من الاتصال بالعالم الغربي وسيمثل ذلك ، ولكن قصصه العظيم او النقطة التي يحتاج فيها اشد الاحتياج الى اتخاذ الافكار والمبادئ الاوربية هي موقفه تجاه نساءه ، وقد اخذت نساها في موقفه نحوهن تساهلاً بطيئاً تدريجياً ، فالاسلام لا يمكن ان يرتقي ارتقاء حقيقياً الا اذا حرر نساها الراسقات في سلاسل التقاليد القديمة التي لا تنطبق على روح العصر الحديثة ، التي هي روح الترقى الحقيقي

(المنار) : سنين رأينا في هذه المحاضرة في الجزء الآتي ان شاء الله تعالى

(المجلد السابع عشر)

(٢٨)

(المنار ج ٣)

اعتقاد الشيخية^{*}

على ما نقل من كلامهم في كتبهم المعروفة الكاشفة عن اعتقاداتهم في مراتب اصول العقائد (ففي مرتبة معرفة الذات) قالوا « إنّ الذات ذاتان » ذات غيبية باطنية لا اسم لها ولا رسم لها ، ولا تسمى ولا توصف ، ولا تكلف على العباد بعرفتها وتوحيدها وعبادتها . وذات ظاهرة تسمى وتوصف ، وفي هذا القسم من الذات قالوا : ان المعرفة فرع ادراك المعروف ، والعبادة فرع ادراك المعبود ، فيجب أن يكون المعبود في صقع المعارف والعباد ، حتى يمد بجسمه جسم المعبود ، وبفسه نفس المعبود ، وينقله عقل المعبود ، وينفّثه فؤاد المعبود . فهناك ذات ظاهرة معرفتها تسمى بمعرفة البيان ، وهي المتعلقة بها المعرفة والعبادة ، وهي في مقام النبوة نبي ، وفي مقام الإمامة ، وفي مقام الركنية ركن رابع . ولذا قالوا : ان الخطاب في « إياك نعبد وإياك نستعين » الى النبي والامام

والركن الرابع صرح به الشيخ أحمد بن صقر المشهور بزين الدين وأثر الاحسائي في رسالته الخطابية المطبوعة في جوامعه ، والسيد كاظم الرشتي في شرح الخطبة ، والشيخ كرم خان في موارد من ارشاده المعروف المطبوع في عصره . وهذه المقالة دعوتهم الى مصاحبتهم لصور مشايخهم ، وجعلها في حال سجدتهم ، وقد اشتهروا بذلك بحيث لا يمكن أن ينكروا

(وفي مرتبة معرفة الصفات) قالوا : ان الاسماء والصفات للذات الظاهرة التي والامام والركن الرابع . وهي معرفتهم بلسماني . وقالوا : ان الصفات كلها حادثة ، فالتعاليم الاسماء بسم حادث ، وقادر بقدره حادثة ، وهكذا . وقالوا : ان الصفات متحدة في المفهوم كما هي متحدة في المصداق . وقالوا : نسبة الخلق والرزق اليه تعالى كفر . قال الخان السكرماني في ارشاده بالفارسية : پس هر كه بگوید ذات خدای تعالی خالق اشیاء است یا جامع مسلمانان از ضرورت دین بیرون رفته . وصرح بهام ذلك ابن صقر في شرح المرشدية ، والرسالة العلمية ، وشرح الزيارة ، والسيد الرشتي في شرح الخطبة (وفي مرتبة معرفة الاسماء) قالوا : ان الذات لا اسم لها ولا رسم لها . ويقولون في

الذات اسمها « الله » ، فاستدلوا بهم كرم خان العاجل ، والسيد كاظم الرشتي ، وهم من الذين لا يسمون الله بغير اسماء ، فاستدلوا بهم كتاب المتأله لما هو شر منها وهو لثنة البايّة نبيهم وانهم لا يسمون الله بغير اسماوات قدماء الباطنية

(المنار ج ٣ م ١٧) عقائد فرقة الشيخية . جرثومة الباطية والبهائية ٢١٩

قوله تعالى «ولله الأسماء الحسنى» يعني الربوبية الثانية في الذات الظاهرة قال سيدهم في شرح الخطبة: ان الربوبية لها ستة مقامات (أحدها) رتبة الذات البحت التي لا اسم لها ولا رسم {الثانية} رتبة الذات الظاهرة التي هي مظهرة تلك الذات البحت (والثالثة) رتبة الذات في مقام يعبر عنها بهو (والرابعة) رتبة يعبر عنها بالله (والخامسة) رتبة يعبر عنها بسائر الأسماء (والسادسة) هي الرتبة الربوبية، السارية في العبودية وخمسها شيخة وكثرها الخائف الكرمانى بغير حساب . قال في الارشاد: من نيكو انخذائكم سابق مى پرستند باطل بوده بلکه میگویم او حق بوده وعبادتش درست بوده . ولكن امروز چون شعور شما زیاد شده باید بدانید که ان خدا نبوده بلکه بنده بوده واینکه امروز میگویم این خدا است وبعده از این شعورها زیاد میشود میباید بدانید که این خدا نیست بلکه بنده ایست از بندگان خدا و خدا دیگر نیست .

وقال الشيخ أحمد في شرح الزيادة في تفسير الدعاء: أنت الله عماد السموات - يعني الحسن ابن علي - وقالوا أنت الله قوام الارضين - يعني الحسين بن علي - وقالوا: ان الضمائر له في القرآن من الغيبة والخطاب والتكلم راجعة الى النبي والامام والركن الرابع في مرتبة المعاني . وقال الشيخ أحمد: كما ان له الأسماء الحسنى كذلك له الأسماء السوءى، لكن امرنا بدعوتنا بالحسنى دون السوءى، وقال ان معنى قولك «الله عالم قادر بصير» الله الله الله . لا محادها في المفاهيم التعوية كآحادها في المصداق الوجودي (وفي مرتبة معرفة الافعال) قالوا لا فعل لله تعالى، ولا انتسب اليه الفعل، ولا يطاق على الذات اسم الخالق والفاعل وأمثالهما، لانها يجب ان يكون مقارنة للفعل والذات لا يقارن شيئا. واستدلوا بقوله: ان الارادة لا تكون الا والمراد معها . ولا يفهمون ان ممية المراد مع الارادة حادثة هي لامع المرید الذي هو القديم تعالى

(وفي مرتبة العدل) قالوا لا خصوصية للعدل في حق معرفته من الاصول دون سائر الصفات . ولذلك جعلوا أصول دينهم أربعة {أحدها} معرفة الله (والثانية) معرفة النبي (والثالثة) معرفة الامام (والرابعة) معرفة الركن . وعلمه في الارشاد الخان الكرمانى (وفي معرفة النبوة) قالوا المسكل نوع من الموجودات في من نوعهم ، فلابجساد نبي من الجملادات، وللتبات هكذا، والحيوان ايضا . وقالوا ان الصفات المقررة في انبياء بني آدم مقررة لها من كونها طاهرة مطهرة ، عاقبة طاهرة ، قابلة للوحي والالهام ، منصومة فإضة على ما تحتها من امنها . وشأنها من بعدها حادثة لشرائعها ونبياء ونبياء . صرح به الشيخ أحمد في جوابه ، والخان في ارشاده، وزاد أشياء أخرى،

٢٢٠ عقائد فرقة الشيخية. جرثومة البابية والبهائية (المنار - ج ٣ م ١٧)

فقال : ان محمدا تنزل وتطور في كل مقام في صورة كل نوع فينبئ فيها ويلفها ، فانهم قد يظهرون في صور الجمادات والنباتات والحيوانات وصور بني آدم سيدهم وشقيهم . وبه قال الشيخ احمد في موارد من كتبه . منها ما ذكر في شرح الزيارة في تفسير « واجسادكم في الاجساد » وقال ان الائمة قد يظهرون في احسن صورة لا وليائهم ، وفي اوحش صورة لأعدائهم . ثم ذكر حديث جابر بن عبد الله في قول طلحة : وقال في الاستشهاد لهذا الحديث : حيث ظهر امير المؤمنين (ع) في صورة قبيحة هي صورة مروان بن الحكم ورمى طلحة بسهم وقفه الاتفاق على ان طلحة قتل برمي مروان ، لكن طلحة لما عين الموت وكشف عنه غطاؤه رأى عليا (ع) في صورة مروان بن الحكم ، انتهى . وصرح به الخان في ارشاده . والعجب من هذه المقالة بانه كيف عرف طلحة وراى عليا في صورة مروان ، ولم يعرفه الحسن بن علي حيث قال في مجلس معاوية لمروان : أنت الذي وقفت بين الصفيين ورميت طلحة وقتلته؟؟

(وفي مرتبة الختمية) قالوا ان للخاتم (ص) اسمين (يعني ظهورين) اسم سماوي وهو احمد ، واسم ارضي وهو محمد . وقد ظهر باسمه الارضي منذ بعث في رأس كل مائة لترويج ظاهر شريعته ، حتى مضت عليه وعلى شريعته ستة مائة ستة مائة فكانت اثني عشر مائة (١) وانتهت الدورة الاولى لترويج ظاهر الشريعة ، واثت الدورة الثانية لترويج باطن الشريعة . وانقضت دورة ظاهر الشريعة ، نظرت تلك الحقيقة الحمديّة باسمها السماوي وهو احمد في الشيخ احمد لترويج باطن الشريعة . وهذه المقالة عين ما قاله السيد كاظم الرشتي في شرح قصيدة عبد الباقي ، مذكورة في عشرين ورقا (٢) من أواخر الكتاب . ولا يخفى في هذا الميدان جولان ، حيث شبه الايمان بالانسان . وقال انه كان نطفة في زمن آدم (ع) ثم صارعلقة في زمن نوح (ع) ومضغة في زمن ابراهيم (ع) وعظما في زمن موسى (ع) ونفخ فيه الروح في زمن عيسى (ع) وتولد في زمن محمد (ص) فارتضع من ندي ولاية الائمة (ع) ولما كان اوان فطامه غاب عنه المرتضعة (٣) فودعوه (٤) لدى المريات وهم الفقهاء ، وصار مرافقا في زمن شيخنا ، فأخذناه من الاماء المريات لتعلمه الآداب والسنن . وجال في المقام ، واطال في الكلام ، واسب بذنبه والسبال ، حتى آل الحال الى مقالة

(١) المنار : الصواب في المنظومات مئة ست مئة فكانت اثني عشرة مئة (٢) الصواب ورقة

(٣) لم يبق غاب عنه المرتضعة اي بضبة الامام الثاني عشر الوهيية (٤) يريد اودعوه من الودعية

(المنار - ج ٣ م ١٧) عقائد فرقة الشيخية. جرثومة البابية والبهائية ٢٢١

قرة العين القزوينية راقصة بالغنج والدلال، انكحت وزوجت قد فر من الميدان (?) وقال الخان ايضا في ارشاده : ان بعث الانبياء والرسل وانصب الحجاج وانزال الكتب كلها لاثبات الركن الرابع ، وهو بمنزلة اصل الكعبة في مسجد الامامة في حرم النبوة في عالم ارض التوحيد . فعلى الاسلام السلام بعد هذه المقالة وقالوا بكفر من انكر الركن الرابع ، وانهم ناصيين (?) وطهروا نفوسهم للتقية . وايضا قال في اول المجلد الرابع من ارشاده ما هذا لفظه : من چگونه بدست قاصر و نفس ضعيف اين مصيب و ابكر دن اين خلق منكوس بكنارم كه هزار و ده سال است كه در جاهليت غيت گرفتارند . و تاريخ كتابه في ست وستين فيكون من اول ولادة الحجة داخلا في الجاهلية الى ان بلغ قلمه موضعه من الكتاب . وقال كتابي هذا - بني الارشاد - مطابق لما هو مسطور في اللوح المحفوظ حرفا بحرف ، والسواد مطابق للاصل . وقال قراءة كتابي هذا واجبة وقراءة القرآن مستحبة . وقال من قرأ خمسة اوراق من كتابي فكأنما قرأ التوراة والانجيل والزبور والفرقان ، وما انى به الانبياء من عند الله . ولا تقتصر عباداته عن عبادة السيد ميرزا على محمد ابن السيد رضا الشيرازي في بيانه النازل اليه من السماء بزعمهم : ان لو اجتمعت الجن والانس على ان يأتوا بحرف من حروف البيان اذا لا يأتون بحرف منه ابدا

(وفي مرتبة الوحي) قالوا ان الوحي عبارة عن توجه خيال النبي (ص) الى نفسه ، ونفسه الى عقله ، وانزال عقله المعاني الى نفسه ، ونفسه الى خياله ، والعقل هو جبريل النازل عليه . صرح به الخان في ارشاده في المقصد الثالث في النبوة . وقال هناك ان النبي مهما كان متوجها الى مسألة علمية كان غائلا عن سائر المسائل ، فيتدرج له العلم شيئا بعد شيء في الدنيا والبرزخ . وقال كثيرا ما يسأل عن الائمة من الاحكام الشرعية (١) ولم يكن لهم جواب حتى باقى اليهم من عقولهم ، فيقتصر زمان الايلفاء ويطول

فان قيل فكيف يرمون هؤلاء بالغلو في حقهم (ع) مع هذه المقالة ؟ يقال ان التناقض في كلامهم غير معدود ولا محدود ، ويقولون بجواز اجتماع التقيضين لاسباب في ذات الواجب ، ويستدلون بوجود ملك نصفه من النار ونصفه من الثلج . وهذا معروف منهم

{ وفي مرتبة العصمة } قالوا يجوز الكبائر والصغائر عليهم عمدا وسهوا قبل

(١) لعل الاصل او المراد: كثيرا ما يسأل الائمة عن الاحكام الشرعية .

٥٢٢ عقائد فرقة الشيخية . جرثومة البابية والبهاية (المار - ج ٣٣ ١٧)

البعثة وبعدها . صرح بالسهو شيخهم في (جوامع الكلم) وقال يغيب عنهم الملك المسدد . وقال الخان في الارشاد: پس اكر خداوند مصاحبت داند در بقاء دين ان يغمبر كه از دنيا مي رود البته قائم مقامی از براي ان يغمبر قرار دهد كه اقلاً در حفظ شريعت معصوم بوده باشد اكر چه در جاهاي ديكر معصوم نباشد . وان كان في مبحث العصمة اثبت بها لهم وقد قسمها بعصمة عقلية ، وعصمة نفسية ووجودية ، وقسمها الشيخ في شرح الزيارة بعصمة ذاتية - وقال بها لنبينا والائمة - وعصمة عرضية - وقال بها في سائر الانبياء - ولا يفهم مراده . وقال الخان بعصمة الركن الرابع الذي يسميه امام الزمان حيث يقول في ارشاده غير مرة : پس امام غائب بكارمر در نيم خود و مردم امام حي حاضر معصوم ميخواهند

(وفي مرتبة الازعان بالمعراج) قالوا بما هو لفظ الشيخ في رسالته المسماة بالقطفية: قال انه تعالى لما اراد العروج القى في كل كرة ما منها فالتقى ترابه في التراب ، وماءه في الماء ، وسواه في الهواء ، وناره في النار . وكل قبضة (؟) في تلك السماء ، ثم لما رجع اخذ من كل كرة ما التقى فيها . وصرح عليه في جميع كتبه . ومن بيانه تشبيه المعراج باكل الغذاء ونجايه واخراج نفسه ، الى ان يحصل الروح البخاري في القلب ، ثم يصعد الى الدماغ ، وقد صمدها الخان في معراج الغذاء المأكول الى ان جعلها نفسا وعقلا وفؤادا

(وفي مرتبة الامامة) قالوا ان امام الزمان غير الائمة الاثني عشر : ولا بد في كل زمان عن امام غيرهم ، وهذا صريح كلامهم . وقال الخان في ارشاده: پس جنايجه بخداي نايده اکتفا نمیتوانید نمود با امام غائب هم اکتفا نمیتوانید نمود . وقال في موضع آخر: سار غائب چگونه تربيت شا کرد میتواند نمود .

(وفي مرتبة الاماد) قالوا ان الجسد جسمان ، والجسد جسدان ، جسد عنصري دنيوي وهو مخلوق من عناصر هذه الدنيا التي تحت فلك القمر ، وهذه تفتي ويلحق كل شيء الى أصله ، ويمود اليه عود مما رجة واستهلاكه ، فيعود مأثوه الى الماء وهواءه الى الهواء ، وناره الى النار ، وترابه الى التراب . ولا يرجع ولا يعود لانه كائوب يلتقي من الشخص . والثاني جسد أصلي من عناصر (هورقايا) وهو كامن في هذا المحسوس ، وهو مركب الريح ، فيقوم للحساب ، وهو الجسد الذي يتألم ويتنعم وهو الباقي ، وبه يدخل الجنة والنار . وقالوا : السؤال عن الروح والجسد الهورقاياي بنون البرزخي . وقتئذ ان تصراط والميزان والوسيلة كلها مؤولة معنوية غير جسمانية

(وفي مرتبة تكليف الناس في زمان الغيبة) قالوا : لابد في كل زمان من امام زمان غير الأئمة الاثني عشر ، ولهم في هذا المقام متناقضات شتى ، فتارة يعبرون بالشيعة ، وتارة بالنقباء والنجباء ، وتارة بالركن الرابع ، وتارة يفرقون بينهم . وجعلوا معرفة الركن الرابع اصلا من اصول الدين ، ونسبوا منكره الى الناصبية ، وتناقضوا في القول ، فقالوا : هذا الركن من الايمان كان مخفيا حتى أظهره الشيخ أحمد ثم السيد كاظم ثم كريم خان ، فمن لم يعرفهم ولم يفهم مات ميتة جاهلية ، وميتة كفر وتناق ، ثم تفرقت كلماتهم من بعدهم على أشخاص كثيرين فتفرقوا أيادي سبا ، كلما دخلت أمة امنت أخرى ، الا ان أكثرهم اجتمعوا على محمد خان حسب ما وصى اليه ابوه ، وقالوا في صفات الركن الرابع ما لا يقصر عن صفات الرسل والأئمة ، قال وحم خان اخو محمد خان في منظومته : قدرتشان قدرت يزدان بود . وقال لهم السلطنة على العالم والقدرة الالهية على التصرف فيما يشاؤون ، وأمثال ذلك .

ويقولون صريحا بوجود الباب للامام ، وان كانوا ينفونه على السيد ميرزا علي محمد الشيرازي ، فالنزاع في الموضوع دون الحكم ، وحصل كلامهم ان التصديق في مراتب التوحيد لا يكمل الا بالتصديق بالنبوة ، والتصديق بالنبوة ومعرفة صاحبها لا يكمل الا بالتصديق بالامامة ومعرفة صاحبها ، والتصديق بالامامة ومعرفة صاحبها لا يكمل الا بالتصديق بالركن الرابع ومعرفة صاحبها ، فالعلة الغائية من المعرفة في معرفة أصول الدين والعقائد معرفة الركن الأخير . على ان الدين والايمان مركب من اربعة اركان ، ولا يتم معرفة الاول الا بالثاني ، ولا يتم هو الا بالثالث ، ولا يتم هو الا بالرابع ، فمعرفة اصل ومعرفة المثلث الاول من باب المقدمة ، كما يفهم عن عبارات الخان في ارشاده . ولذا قالوا ان معرفة الركن الرابع ومحبه وموالاه من ضروريات الدين ، ومن انكرها انكر اصلا من اصوله ، وقد عبر الشيخ في كتبه عن هذا الاصل بالشيعة الخاص ، وبعض آخر منهم بالنائب الخاص في زمن الغيبة الكبرى ، في مقابلة الامامية من قولهم ان الاحكام الشرعية والحوادث الواقعة في زمن الغيبة الكبرى راجعة الى النائب العام ، وهو الفقيه الجامع للشرائط ، حتى آل الامر بالخان فعبّر عنها بالركن الرابع ، وزاد في الطنبور نغمات أخر لا فائدة في ذكرها والمعجب كل المعجب من الفتنة الحادثة بعده فان ابنه محمد رحيم خان قال بوحدة الناطق أي الركينة الشخصية ، وقال بان الركن الرابع للدين في كل عصر من الأعصار شخص واحد يجب لكل مكلف في ذلك العصر متابعتها في الاحكام الصادرة عنه ،

وارجاع أموره التكليفية إليه ، ومعرفته وموالاته ومحبه ، بناء على ان هذه المعرفة بهذه الصفة من ضروريات الدين . وخالفه في هذه المقالة تلميذ الخان السيد ميرزا محمد باقر الهمداني : وقال بكثرة الناطق أي الركنية النوعية ، وقال ان الركن الرابع في كل عصر يمكن أن يكون متعددًا متمسكا بالتوقيع الصادر عن الامام القائم المنتظر {ع} وأما الحوادث الواقعة فارجعوا الى رواة احاديثنا ، وكون محل الرجوع رواية يدل على تعدد الركن لا التشخص ، ولكل منهما كتب متعددة ممهدة لاثبات مدعاه . ولذا صارت الشيخية بمد الخان المجهود طائفتين ، وبقي الامر كذلك الى زماننا هذا والاصبانيون منهم من الطائفة الهمدانية . وأما الطائفة الاولى أي تبعة الكرمانى (فهم) متفرقون في سائر البلاد والاغلب منهم ساكنون في طهران وكرمان . وكلهم متفقون في جواز التقليد من الميت ، والعمل بكل خبر ولو كان ضعيفا . ولذا يمدون من الاخباريين مع اعمالهم نبذة من قواعد أصول الفقه في مباني فتاويهم انتهى

« المنار »

ما أفسد دين الشيخ أحمد الاحسائي وأصحابه وأثار في أدمغتهم هذه الخيالات الا التشبه بما أثروه عن فرق الباطنية ، وما رأوه من اقرار الناس لبعض زعماء الباطنية بالامامة وبعضهم بالألوهية ، وعلمهم بأن أهل زمانهم أجدر من المتقدمين بالتقليد ، للاعراض عن القرآن والسنة والجهل بهما وبلغتهما ولما كان قبل من التمهيد . والظاهر ان كلا من الاحسائي والرشقي والكرمانى كان يطمح أن يكون في شيعة العراق والفرس ، كامام بل إله الاسماعيليه في الهند ، ولكن كان انتهى شوط أباطيلهم التمهيد للباب ثم للبهاء ، اللذين كانا دونهم في الفلسفة والفصاحة والذكاء ، وما سبب رواج كفر الباطنية وشركهم المخترع - على اختلاف فرقهم من اسماعيلية ودروز ونصيرية وبكداشية وبائية وبهائية - الا الفلو في تعظيم آل البيت (وكذا غيرهم من العلماء والصالحين) والتقليد في الدين فهذان السببان هما اللذان أعدا الاذهان ، لقبول هذا الكفر والطغيان ، وما كانت فرقة الشيعة الامامية أشد غلوا من سائر فرق المسلمين في تعظيم آل البيت جعلها واضعوا هذه الاضاليل مباهة لها ، وسلا لمقاصدهم منها .

تقرير المطبوعات الجديدة*)

﴿ نشوء فكرة الله ﴾

« كراسة تحتوي على خلاصة كتاب لجرانت ألين الكاتب الانكليزي المشهور عن نشوء الاعتقاد بالله وترقي الانسان من الوثنية الى التوحيد الحاضر مع بيان أصول المسيحية ونشوتها »

لخص هذه الكراسة من ذلك الكتاب وطبعها ونشرها (سلامه افندي موسى) وهو شاب قبطني الجنس مادي الاعتقاد، يعنى باقناع الناس بأن الأديان أوضاع مخترعة ينبغي لهم تركها والعمل بقواعد الانتخاب الطبيعي وأصول الاشتراكية ومنها - على رأيه تبعا لبعض غلاة المادية من الأفرنج - أن يجعل الأقوياء باعلاك الضعفاء، ومنعهم من الزواج ومن كل ما يطيل أيام حياتهم على الأرض ، كما لجأ المرضى والصدقة على البائسين . وما نشر هذه الكراسة الا في سبيل مذهبه . وهذه الحملات التي يحملها الملاحدة على الدين تؤثر في النصرانية دون الاسلام ، لأن النصرانية الحاضرة وثنية متسلسلة من وثنية قدماء المصريين والهنود وغيرهم . وانا تنقل نصولا من هذه الرسالة بحروفها تثبت ما قلناه ، ثم نقب عليها بما نراه ، قال الكاتب :

﴿ ١ - المسيحية كنشياس ديني ﴾

اذا اخذنا المسيحية كنموذج للأديان واعتبرنا نشوءها نجد ان كل ما فيها من العقائد والمراسم مأخوذ من الأديان السابقة لها التي كانت فاشية عند ظهورها . قاله المسيحية - المسيح - كان انسانا كما كانت كل الآلهة القديمة عند اول ظهورها . وقد اعتبره المسيحيون الاولون ابنا لاهله (كذا) تربها له عن الانسانية كما فعل اليونانيون مع اسكندر المقدوني . ونجد في المسيحية ما يسمى (بالثالوث الاقدس) وهو عبارة عن ادماج ثلاثة آلهة وهم الآب والابن والروح القدس في إله واحد، على مثال ما كان يعتقد المصريون في اثنالوث الالهى المكون من اوزيريس وايسيس وهوريس . والمسيحيون يعتقدون ان أم المسيح عذراء . ولا بد ان هذا الاعتقاد قد تسلسل من

(*) كتب تقرير هذا الجزء - ما عدا الاول منه - شقية السيد صالح مخلص رضا

(العدد ٣) (٢٩) (المجلد السابع عشر)

الاعتقاد المصري القديم الذي كان قائماً على اعتقاد البكارة في ايسيس ام هوريس . وكذلك ترى اذا بحثت عن الاصل في مراسم المسيحية كالصليب والقبر والكنيسة والهيكلي انها مأخوذة من الاديان المصرية القديمة . كما ان نظام القربان والسهنوت مأخوذة منها ايضاً .

(١٥ - الضحية والدم)

قد رأينا فيما سبق ان للضحية باعئين الاول هو الاعتقاد بانها تقدم كطعام للروح او الاله . والثاني هو الاعتقاد بان الاله ذاته تجسد فيها وتدفن اجزاؤها في الحقول لكي تنمي الزروع .

الى هنا لم تتكلم عن اكل الناس الاحياء للضحية . فقد رأينا الضحية تجزأ وتدفن في الحقول باعتبار انها إله ورأينا القربان ايضاً يوضع للحيات اعتباراً بأنه سيجوع ويأكله . وسنتكلم الآن عن اصل عادة اكل الناس للضحايا .

من الشائع بين عوام مصر ان من اكل قلب ذئب صار قوياً مثل الذئب ويعتقدون في الهند ان من يأكل نمرأ يصير شجاعاً جريئاً كالنمر . لهذا نشأت عادة ذبح الالهة المتجسدة في الضحية ورد على خواطر المضحين ان يأكلوا هم ايضاً قطعة من جسم الاله حتى يصيروا مثله في صفاته ، على نحو ما يفعل آكل الذئب والنمر . فصاروا يضمون جزءاً من الضحية المؤهلة في الارض ويأكلون جزءاً آخر منها . وهذا صيد المصفورين بحجر واحد : مباركة الحقل وتقوية الجسم . كذا تفعل قبائل الغوند . وكذا ايضاً كان يفعل المكسيكيون . فانهم كانوا اذا ارادوا التضحية قبضوا على اسير من أسرى حروبهم وعاملوه معاملة الملوك مدة عام يقتلونه باحتفال عظيم في نهايته ويأكلونه . وبعض الزمن ارتقى الانسان من التضحية البشرية الى التضحية الحيوانية الحاضرة في اعياده . وفي طريقة الذبح عند العرب والبرانيين الآن بقايا أثرية من عوائد التضحية القديمة فانهم يذبحون الآن « باسم الله » ويتطلبون اراقه الدماء من المذبوح ، والدم هو في العادة الجزء الذي يشتهيه الاله لانه - بخلاف اللحم - يجف فيظن الراي ان الاله قد شربه .

قلنا ان الانسان كان يشرب دم الذبيحة او يأكل لحمها اعتقاداً بأنه يأكل ويشرب من لحم الاله ودمه . وقد قلنا انه كان يعتقد بأن روح الضحية روح للاله نخل من الذبيحة عند الذبح وتنتشر في المحاصيل كالسكر ووالفلال .

(المنار - ج ٣ م ١٧) ضحية الافتداء . العالم قبل المسيح ٢٢٧

من هنا نشأت عادة أخرى وهي أن يأكل المتدين خبزا أو يشرب نبيذا باعتقاد أنه يأكل من لحم الإله ودمه . لأن روح الإله قد تجسدت في محاصيل الفلال والكروم . والخبز والنبيذ هو ما يأخذه المسيحي من قسيسه باعتقاد أنه يأكل ويشرب من لحم المسيح ودمه .

(١٦ - ضحية الافتداء)

للضحية - كما قلنا - اعتباران عند المنوحشين (١) أنها تقدم كطعام للروح أو للإله (٢) أنها تقدم لأنها هي الإله ذاته

وهناك نوع ثالث من الضحايا يقدم باعتباره يفدي القبيلة أو الأمة من خطاياها وقد صلب المسيح لكي يفدي الناس من خطاياهم أي لكي يكفر عن ذنوبهم والاصل في هذه الضحية هو الاعتقاد بإمكان نقل المرض من شخص الى شخص أو الى شيء آخر . مثال ذلك ان ملكا في (بنشوانا لاند) أصيب مرة بمرض ما فأحضر ثورا وتلبت عليه الرقيات وأغرق بمد ذلك في النهر . ومنطق هذا العمل عندهم ان المرض قد انتقل الى الثور وذهب معه بعيدا عن الملك ، ولا يزال عندنا نحن المصريين آثار باقية من هذا الاعتقاد في رقياتنا حيث نزيل الرقية المرض وتلقيه بعيدا عن المريض بالقائها بعض اشياء كانت تحرقها في النار وقت الرقية

وقد نشأ من اعتقاد امكان نقل المرض اعتقاد امكان نقل الخطيئة . مثال ذلك ان بعض قبائل افريقيا يقتل كل سنة شخصين رجلا وامرأة - لكي يكفرا عن خطايا القبيلة . يعتقدون ان خطيئات القبيلة قد انتقلت الى هذين الشخصين وأنهم يقتلها يقبلون القبيلة من ادران خطاياها ، ويبدونها امام آلهتها ، كما كان يقتل الاثنيون شخصا عند وفود وباء ما على بلدهم اعتقادا بأن الوباء يموت بموته ونجى الأمة منه ، وكما تذري الرقية قطعة الشب التي احرقها في النار وقت الرقية اعتقادا بأنها حملت المرض معها وذهبت بعيدا عن المريض

(١٧ - العالم قبل المسيح)

كان العالم الذي انتشرت فيه المسيحية تابعا للدولة الرومانية عند بدء انتشار هذه الديانة . وقد كانت هذه الدولة تشمل كل ممالك البحر المتوسط ، ودرجت الافة الرومانية على ألسن التجار فقربت بين هذه الأمم وصبغتهم بالصبغة الرومانية . وقد برزت التجارة على المم - اجرة والزوح الى المواني فكانت الاسكندرية ورومية

وانطاكية (١) ملأى بالسوريين والرومانين والاسبانيين وغيرهم من الجاليات التي هجرت مواطنها الأصلية واستعمرت هذه المواني الارترأق . وقد أدى هذا الى انتشار الاديان في اصقاع الامبراطورية، وخروجها من اوطانها الأصلية، فكانت الآلهة المصرية تعبد في أنجلترا ودرومية بسبب النزلاء المصريين كما كان يعبد الآله (يهود) في الاسكندرية و مرسيليا بواسطة اليهود . وقد كانت بعض هذه الآلهة تُحَد في الصفات فيعبدوها الناس وان كانت أجنبية عنهم الا انها تتفق في صفاتها مع احداً لهم . او كانت الظروف تقتضي عبادة الآلهة الغريبة كما حدث مع البطالسة ، فانهم حينما تولوا حكم مصر عبدوا الآلهة المصرية مع انهم كانوا يونانيين . وقيل ظهور المسيحية كانت الاديان الوثنية قد ضعفت امام الفلاسفة وحصل بذلك اشتياق في النفوس للتوحيد اليهودي . ولو لم يكن (يهوه) إله اليهود وطنياً متعصباً في الوهيته يكاد لا يتعرف بأمة حقيقة بالجئسة غير اليهود لامت عبادته . لهذا تحول الناس الى العبادة المسيحية لانها في الحقيقة عبادة للآلهة كلها . لان المسيحية اشتقت مناسكها وسننها ومراسمها من آلهة مصر وسوريا ورومية وفرنسا وأنجلترا وغيرها، فكانت كل الامم تعرف شيئاً عنها وتعتمد بصحة بعض سننها وأساطيرها . وما زاد في الاقبال عليها سهولة طريقة الدين بها وصعوبته عند اليهود

(١٨ - نمو المسيحية)

انا نشك في ان المسيح كان انساناً موجوداً . على اننا اذا صدقنا رواية وجوده كشخص ما، فانما نعتقد ذلك باعتبار انه وجد وقتل كضحية مؤلهة . وهي الضحية التي قلنا انها كانت تقدم لآلهة الغلال والنبيذ . فقد كان السوريون المجاورون لليهود يبدون (أُنيس) إله الغلال، وكان من عادتهم أن يقدموا له ضحية سنوية . ولعل الاشاعة التي فشت بعد ظهور المسيحية عن ذبح اليهود للاطفال قد نشأت عن هذه التضحية، وعندنا سبعة اشياء ترجح ان المسيح كان ضحية مؤلهة . وهي :

(١) اذا فحصت عظات بولس في رسائله الى الفورتيتين تجده يصف المسيح كأنه يحف احد آلهة الغلال تماماً .

(٢) اكل تلاميذ المسيح وكل المسيحيين الآن الخبز والنبيذ باعتبار انهما من جسد المسيح ودمه . وهذا ما كان يفعله تماماً عبدة (أدونيس وأُنيس) آلهي الغلال لان الآلهة تجدد في المحصولات .

(٣) قول المسيح «أنا خبز الحياة» . «خذوا.كلوا من دمي» (١) وقد وصفوه بأنه قمحي الوجه وأن شعره كالون النبيذ .

(٤) أنه دخل أورشليم بهيئة ملك مثل ضحايا أتيس وادوينس . لان الاعتقاد كان فاشيا بأن هذين الالهين يجسدان في الضحية التي تقدم لهما فيجب اذن اكرامهما ما داما على قيد الحياة . وقد جاء في الانجيل انهم وهم يقتلون المسيح ركعوا، وهذا مماثل ما كان يفعله كهنة أتيس بالضحايا .

(٥) ولما دخل المسيح أورشليم كان ممطياً حمارا وقد نثر أغصان الاشجار على الارض، وهو عين ما كانوا يفعلونه مع ضحية ايتس وما زال في «أحد الزعف» (٢) الذي يسبق العيد الكبير عند النصارى بقية من بقايا أعياد آلهة الفلال .

(٦) لما قتل المسيح بكى عليه النساء مثلما كان يحدث في ضحايا أتيس لانهم كانوا يعتقدون بأن الاله يجسد فيها وبالتالي يكون عليه لانهم قتلوه .

(٧) بعثه بعد ثلاثة أيام . مثل أتيس وادوينس بالضبط فالعيسى قتل لفرضين : أنه ضحية مؤلهة ولكي يفدي الشعب من خطاياهم (وقد عرفنا اصل ومعنى الفداء)

أما الثالث فقد جاء للمسيحية من مصر ونشأ أولا عند الاقباط لان أديانهم الوثنية السابقة كانت تحتم هذا الاعتقاد .

أما الصليب فقد أتى ايضا من مصر وتراه للآن على الجملان . وقد اختلط الموضوع على بطريرك مصري مرة فقال في احد كتبه عن المسيح انه «جسم الله» أي انه ظن الصليب والمسيح شيئاً واحدا لان الجمل كان يرسم عليه الصليب .

(١٩ - بقايا اثرية في المسيحية)

ما زال المسيحيون الآن يعبدون الموتى . وقد كانت الكنائس عند اول تشييدها قبورا ليس الا . ومركز القديس الآن بين النصارى وقيمتهم كتركز رئيس القبيلة المتوفى بين قبيلته بالضبط . لان النصراني يحترم القديس ويتبهيبه ويتقرب منه كأنه يعبده عبادة ولو أنكرك ذلك . وقد كانت القرون الوسطى العصر الذهبي

(١) المنار : العبارة متضبة لم تؤد معنى ما في الانجيل وهو انه سمي الخبز جسده وأمرهم بأكله وسمى الخمر دمه وأمرهم بشربها

(٢) أي يوم الاحد الذي يصفرون فيه سعب الخيل باشكال مخصوصة

٢٣٠ عبادة المسلمين الموتى والاضاحي عندهم (المزار - ج ٣ - م ١٧)

عبادة الموتى والارواح . فانهم كانوا لا يبنون كنيسة الا اذا أحضروا لها شهيدا أو قديسا دفنوه في هيكلها . وقد تفانوا في هذا العمل حتى ان البندقيين نقلوا جثة صرقس الرسول من الاسكندرية الى البندقية لكي يضعوها في الكنيسة المسماة باسمه هناك . ودين الاسلام التوحيدى العظيم لم يهلك عن تقديس الموتى واعتبارهم . فالمسلمون ما زالوا الآن يتمسحون بقبور الاولياء ويتبركون بها ويزنون لهم - للاولياء - المساجد على قبورهم .

نريد بذلك ان الانسان الذي تشبع بالتوحيد ما زال يحن الى ميوله الوحشية وتبعته غريزة التدين الاصلية الى العبادة الاولى : عبادة الجثث والارواح . وترى الان عند المسلمين اثرا من آثار العبادات القديمة في مشهد قتل الحسين حيث يمثلون قتل الحسين ويسرون به في الشوارع باكين ومترحمين عليه كما كان يفعل السوريون في البكاء على ادونيس سنوياً . اهـ

(المزار) : ما أضل (جرات ألين) الكاتب الانكليزي مؤلف الكتاب ، وأضل أمثاله من احرار الكتاب ، وحجبيهم عن الدين الحق ، وأوهمهم أنه من خرافات الخلق ، الا ما رأوه من مظاهر الوثنية بين الاقوام ، مع جهلهم بحقيقة الاسلام ، وظنهم ان النصرانية هي أرقى الاديان ، مع شهادة التاريخ بأن جميع أصولها مأخوذة من تقاليد عبدة الاوثان ، كتابيه البشر والتثليث والفداء ، وتقديس كثير من الاشياء . ولو فهموا القرآن حق فهمه ، وعرفوا سيرة نبيه لعرفوا الدين الحق . فان الاسلام وحده هو الدين الذي حفظ أصله كما هو ، فهو الذي يجب ان يتخذ مقياسا وميزانا لا النصرانية ، التي لا يزال الكثيرون من العلماء والمؤرخين يشكون - كالمؤلف - في وجود من تنسب اليه (وهو عيسى بن مريم عليهما السلام) اذا كانوا يحكمون على الاديان بمسائل استنبطوها من التقاليد التي اخترعت بعد دعاء تلك الاديان فكيف يكون حكمهم صحيحا ؟ ألم تر أيها القارئ كيف عبدوا على الاسلام تقديس كثير من المسلمين للموتى وتمسحهم بقبور الصالحين وبناء المساجد عليها ، وتمثيل الشيعة منهم اقل الحسين بن علي (عليهما السلام) كما كان يفعل الوثنيون الاولون ، اذ كان تقديس الموتى ركناً من أركان الوثنية ؟

يهدون هذا على الاسلام ، وأصول الاسلام تنفيه وتحرمه وتمد بهضه كفرا وشركا وبهضه معصية ، وقد اجمعوا على انه بدعة ، وثبت عن النبي (ص) في الصحيحين

والسنان انه لمن الذين يتخذون القبور مساجد او يوقدون عليها السرج، ونهى ان يتخذ قبره وثنا او يتخذ عيداً. ومن الظلم أيضاً ذكر الاسلام في سياق الكلام عن الدم والاضاحي الوثنية، فان اضحية الاسلام لا شائبة فيها للوثنية والفداء، وانما هي نفقة وتوسعة على الهيال والفقراء، والله تعالى يقول (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوي منكم) كما انه ينفي عقيدة الفدية نقياً صريحاً. فاذا كان الاسلام وهو الدين الوحيد الذي حفظت أصوله ينتقدون عليه ويمدون منه ما جاء لهدمه وابطاله ونهى عنه اشد النهي، فكيف يعتد بما ينسبونه الى اليهودية والنصرانية ولم تحفظ أصولهما حتى يمكن الرجوع اليها؟

الحق ان اصل الدين فطري في البشر، انطوى عليه وجدانهم، وصدقته عقولهم، عند ما صاروا يمجثون ويستدلون، والماديون يتوهمون ان فطرتهم وعقولهم لا تؤمن بغير ما يدركونه بحواسهم، وهذا غفلة منهم عن أنفسهم، وعن فرضهم وجود الاثير فرضاً تلجئهم اليه الضرورة. وقد بينا من قبل كيفية طروء الوثنية على الناس، وحقيقة الذشوء والارتقاء في الاديان وكيف قاومها الانبياء بالدين الحق ولا محل لاعادته هنا.

﴿ اعتناقي الاسلام ﴾

تأليف (المهدي) عبد الكريم يوسف (جو صو) الفرنسي طبع في المطبعة التونسية على ورق جيد بحرف كبير ص ١٠٧ « بقطع الاسلام والنصرانية » يباع في المكتبة العلمية (٢٩ عدد بشارع الكنيسة بتونس)

ما زال الله يزيدنا بصيرة ويقينا بدين الاسلام خاتم الاديان بما يهدي اليه من ارباب الارادة القوية والفكر المستقل، فن اسلام عبد الكريم يوسف (جو صو) الفرنسي، الى اسلام اللورد هدلي الانكليزي، الى امثالهما من اخواننا الذين لحقوا بنا في الاسلام دين الحق والتوحيد والتنزيه، والايمان بجميع الانبياء المصلحين.

ولا بد من تعميم الدين الحق { دين الاسلام } في جميع اقطار المعمورة. (هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) واليك صورة اهداء كتاب اخينا عبد الكريم قال حفظه الله

الحمد لله الواحد الاحد، الفرد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً احد، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله الذي جاء بالحق ليظهره على الدين كله. مرغماً انك من عابد وحقد وحسد، فدعا لسبيل ربه بالحكمة والموعظة

٢٣٢ اعتنقي الاسلام . المهتمد فرنسي تونس (المار - ج ٣ م ١٧)

الحسنة ، وجادل الناس بالتي هي احسن ، فمنهم من تجبر ونقر ، ومنهم من انقاد واذعن واقر ، وتلك سنة الله في الذين خلوا من قبل وان تجد لسنة الله تبديلا ، وعلى كافة الانبياء والمرسلين ، وجميع الآل والاصحاب ومن تبعهم وتلاهم الى يوم الدين . اما بمدفان المنازل تستهوي الباب قاطنيتها بما يتاح لهم تحت اديمها من افانين السعادة . والسعادة - لازلت لها قرينا - نوعان : سعادة ارواح وسعادة اشباح ، بينهما من التفاوت كما بين النار والنور ، والظل والحور .

وقد صادفت اثناء اقامتي بالفطر التونسي سعادة لنفسي ، وراحة لفكري ، من نصب وكفاح مارسته عقدين من السنين ، اعني حين قر قراري ، وسكنت نفسي ، رانقاد ضميري ، لاتباع دين الهدى وشريعة الاسلام ، فصار هذا الفطر حينئذ وطننا للنفس تحن اليه ، وترفرف بأجنحتها عليه ، ومن كانت حر الضمير يصدع بالحق لا يخشى لوما ولا تثريريا .

لذلك اردت أن ابدي للناس عند ما نهجز هذا التأليف مالفؤادي من الود والميل نحو قطر يجدر لي ان ادعوه « قطر السعادة » فوطدت العزم على اهداء الكتاب لأمره الاعظم ، وملاذه الانخم ، صاحب السؤدد والفخار ، سيدنا محمد الناصر باشا باي ، صاحب المملكة التونسية ، لازل رفيع العماد ، طويل النجاد آمين

عبد الكريم جوصو

وهذا مقل متتم

« تقولات عني بعض الصحف الفرنسية عند ما اعتنقت دين الاسلام اني أريد تهديد السبيل للتزوج بارع نساء ، وامتلأ ما أشاء من الجواني ! سبحانه الله هذا رجم بالغيب ، وقذف بالبهتان ، بل اني اسلمت لله رب العالمين ، مخاضا له الدين ، وما أنا اول المهتمدين

وجدت الاسلام ديننا سمحا سهلا المأخذ ، بين العقيدة ، واضح البرهان ، مجردا من الغموض ، لا يفتقر أتباعه في عبادة خالقهم الى واسطة ، فاراضته لنفسى والحمد لله لقد كنت بادئ بدء اردت ان اقلد اسلافي السكاوليكيين ، ولكن الفكر اني ان يعتقد شيئا لا دليل عليه ، وكيف يقام البرهان على صحة العقائد السكاوليكية وقساوسها ودهبانها وكردينالها عاجزون عنها .

بعد ذلك مكثت نحو عشرين سنة أبحث عن الدين الحق لا أكون من شيعته ، إذ لا غنى لمخلوق عن عبادة خالقه .

فاتفق لي في أواخر هذه المدة أن جيت بعض الاقطار الإسلامية ، فأثر جمال حياة أهلها تأثيراً عظيماً على قريحتي الفنية ، واستهوطني بحاسنها إلى أن اندفعت للبحث في شؤونهم أجمالاً وتفصيلاً ، وأذ ذاك أخذ دين الإسلام يستميلني شيئاً فشيئاً ، إلى أن تجلى اليقين أمام عيني ، وعلمت أن الدين عند الله الإسلام .

وها أنا أبين للواقفين على هذا الكتاب خلاصة أبحاثي من أولها إلى آخرها تفصيلاً لمزاعم الواهمين . اهـ

ثم كتب له ملحفاً في المباحث الآتية وهي (تسامح الإسلام) و (انتشار الإسلام) و { في الخلق } نقلاً عن كتاب الإسلام الذي ألفه الكونت هنري دي كاستري . ثم (القرآن) نقلاً من « البحث في أصل اللغات » تأليف جان جاك روسو ومن « حياة محمد » تأليف بولانغير . ومن « الإسلام » تأليف هنري دي كاستري . وبعد ذلك مبحث (في المرأة) من مختصر « في حقوق المسلمات » تأليف رحيم حلو . ومن « مختصر الإنكليزي في الإسلام » تأليف ريفي . يتلووه مبحث (قضاء الكنيسة الكاثوليكية على المرأة) ثم (في تعدد الزوجات) من كتاب « الإسلام على حفظ القرآن » تأليف قرسين دي تاسي .

(الإسلام) مجلة دينية علمية أخلاقية سياسية فارسية تصدر في طهران في كل شهر عربي مرة صفحتها ٤٨ بالقطع الصغير . رئيس تحريرها حسين كمال السلطان . قيمة اشتراكها ١٢ قراناً في إيران ويضاف اجرة البريد للخارج . وعن العدد الواحد قران واحد عنوانها « طهران خيابان حرية مركز توزيع كل جرائد داخلية وخارجية » (العرفان) مجلة شهرية شهيرة تصدر في صيدا سنتها عشرة أشهر تبحث في العلم والأدب والاجتماع وتبني غاية خاصة بشؤون الشيعة ، وكانت حجت عن قرائها زمناً ثم عادت إلى خدمتها وهي ذات أربعين صفحة بقطع المنار ، وقيمة اشتراكها في البلاد العثمانية ريال مجيدي وفي الخارج ستة فرنكات

(المنهل) مجلة أدبية تأويحية اجتماعية مصورة عند الاقتضاء . تصدر مرة في الشهر في القدس الشريف لمنشئها محمد موسى المغربي . صفحتها ٤٠ قيمة اشتراكها ريال ونصف ريال مجيدي في البلاد العثمانية وفي الخارج عشرة فرنكات

(المنار - ج ٣) (٣٥) (المجلد السابع عشر)

❦ الإصلاح اللامركزي وحلّاه في البلاد العربية ❦

تألف حزب اللامركزية بمصر لمطالبة الدولة بتغيير شكل إدارتها في المملكة كلها - وإن كان جميع مؤسسيه من العرب السوريين - لأنهم يريدون الحياة للدولة كلها لا لبلادهم فقط ، ولو طالبوا الإدارة اللامركزية لبلادهم وحدها لما كان ذلك أنفع لهم ولا أرجى لقبول طلبهم ، إذ رضاء الدولة بمجمل إدارة بعض ولاياتها مركزية وبعضها غير مركزية بعيد عن العقل والتصور . وتألفت في أثناء ذلك الجمعية الإصلاحية ببيروت لطلب إصلاح معين لولاية بيروت خاصة . وتنتها جمعية في البصرة لطلب الإصلاح لولاية البصرة خاصة . وما حفز العرب في هذه المواضع وإهاب بهم إلى طلب الإصلاح والدولة تن من أثقال الحرب البلقانية التي غابت فيها على أمرها ، الخوف من أن يكون بقاء الخلل السابق سببا لاضلال الدولة وتقسيم الدول لها بالفتح السلمي الاقتصادي أو الاحتلال العسكري .

ولما رفعت هذه الجماعات أصواتها بطلب الإصلاح رددت صدها جماعات المهاجرين السوريين في أمريكا الشمالية والجنوبية وفي أوروبا ، واقترح بعض من في باريس منهم نأينف مؤتمر عربي بباريس لإعلان مقارمة كل احتلال أجنبي في البلاد وللبحث في حقوق العرب في الدولة السمانية والمطالبة بها . وعهدوا إلى حزب اللامركزية إدارة هذا المؤتمر ، فاختار الحزب للقيام بذلك كلا من السيد عبد الحميد الزهراوي واستندر بك عمون ورشح الأول لرياسة المؤتمر على أن يكون بانتخاب أعضاء المؤتمر ، وكذلك كان . وكانت من أمر انعقاد المؤتمر وعماحه وإهمام حكومة الاستانة به ما هو مشهور .

شعر أركان الحكومة الاتحادية بوجود العرب وعنفوا بمبادلة الاحتفالات بينهم وبين من في الاستانة من العرب وأكثرهم طلبة المدارس الأميرية . وسعوا لاستقدام الوفود من سورية ، واحتفلوا واحتفوا بمن ذهب منهم إلى الاستانة ، وأدبوا لهم المآدب ، وأحبوا التأليف بين طلاب الإصلاح ومن عارضهم وشنع عليهم نزلًا للحكومة ، ولكن لم يتم لهم هذا . وكانت هذه المظاهرات التي أهتم بها أهل الاستانة تذكر بالسخرية في غيرها ، ويمدها العرب في مصر وسورية والعراق وفي البلاد الأجنبية خداعاً وتخديراً .

وأما الأمر الذي كان محل النظر ، وموضع الأمل عند بعض العرب ، فهو

الاتفاق الذي عقده جمعية الاتحاد والترقي مع رئيس المؤتمر العربي ، واعطته المهمة والميثاق لتنفيذه كله . وهو مؤلف من اثنتي عشرة مادة . ولهذا مكث رئيس المؤتمر بضعة اشهر في باريس ينتظر تنفيذه ، وكانت الاستانة تجذبه اليها وحزب اللامركزية يجذبه عنها ، حتى اختار الحزب أخيراً أن يعود الى مصر ، وان يمر بالاستانة مختبراً اذا شاء . فشاء وجاء الاستانة ، وراجع رجال الحكومة في أمر تنفيذ الإصلاح الموعود به ، فقالوا إنا على عهدنا ، وقد بدأنا من التنفيذ بإنشاء مدرستين سلطانتين باللغة العربية احدهما في دمشق والاخرى في بيروت ، وبتقرير جعل عسكري كل ولاية في مطقتها العسكرية ، وبجعل اللغة العربية رسمية في المحاكم ودواوين الولايات العربية ، وباختيار الموظفين لهذه الولايات من الممارفين باللغة العربية . واما ما يتماق بالثامنة والاعواق والمعارف فهو يتوقف على وضع القوانين له ونحن شارعون في ذلك بتنقيح قانون الولايات ووضع قوانين أخرى ، ثم ان تنفيذ بعض ذلك يتوقف على وجود المال ولا مال الآن . واما المناصب والوظائف في مجلس الاعيان ومصالح الحكومة العليا فلم ساعدنا على اختيار الا كفاه لها لنعينهم بالتدريج .

هذا ماخص ما تذكر من معنى أحوبة الحكومة لاسيد الزهراوي بعد مراجعات متعددة ، ووعود مبهمة ، كان فيها بين اليأس والرجاء مدة طويلة ، حتى عزم على منادرة الاستانة . ثم شرعت الحكومة في تنفيذ ما لا يتوقف على القوانين ولا ائمال من المطالب بالمشاورة ، ومنها تعيين ستة اعضاء من العرب في مجلس الاعيان احدهم السيد الزهراوي نفسه ، إذ اقضت الحال ان يكون في الاستانة مراقبا لتنفيذ سائر ما وعدت به الحكومة من الإصلاح ، ومنها تعيين الشيخ اسماعيل الحافظ من علماء طرابلس الشام عضواً في مجلس المعارف الاعلى ، وهو في الذروة العليا من نابي العرب علماً وعملاً ، اخلاقاً وعقلاً ورأياً واستقامة . ومنها تعيين عبد الوهاب افندي الانكليزي (لقباً لا نسباً) وشكري افندي العسلي مفتشين في بعض الولايات ، وهما من اشهر نابي العرب من سلك الحكومة الملكي المستحقين للمناصب العالية . ومنها تعيين اناس آخرين في (الدوائر) العالية في العاصمة .

وكان رجال الاستانة قبل هذا قد أرضوا بعض رجال جمعية بيروت الاصلاحية بالوعود الجميلة فسكنت ركنها بالتدريج ، واستمالوا السيد طالب بك النقيب زعيم البصرة ، أعان في الجرائد الرضاء عن الحكومة والاتفاق معها وتبرع للاسطول العثماني وجمع له مالا كثيراً

ثم ان حزب اللامركزية رأى من الصواب ان يحفظ صلته بالسيد الزهراوي كما حفظ هو صلته بالحزب بعد قيامه بمساعدته الى خير قيام . حتى انه لم يحل ولم يرحل ، ولم يحل ولم يهقد ، الا باستشارة الحزب ، ولان زعماء الحزب يثقون كل ثقة بصدقه في القول وباخلاصه في العمل لمصلحة الامة ، فهو بهذا خير من يوقفهم على أعمال حكومة العاصمة فيكونون على صيرة منها ، فلا يذنون عمالهم وسعيهم على الخشون والاهام ، فقرر الحزب باتفاق الآراء إقرار السيد الزهراوي على قبول منصب الأعيان واثقة به ، اي في التوسط لدى الحكومة بمطالب الإصلاح . فمل الحزب هذا وهو غير موقن ولا مرجح لانجاز الحكومة ما وعدت به السيد الزهراوي ، كما انه غير موقن بأنها لا تنجزها ، فكانت الحكمة في عدم قطع الصلة بالحكومة ، ومطالبتها بالبرهان والحجة ، على كون الحزب لا يألو جهدا في التسمي الى الإصلاح من طريق الامة ، فهو يسلك الطريقين الى مقصده ، فذا لم يصل من احدهما وصل من الآخر .

اتفق ان الحزب لم ينشئ شيئا جديدا بعد بيانه العام الذي نشره يوم المظاهرة البرقية السلمية ، بطالب البلاد كرسا للإدارة اللامركزية ، لانه لم يجدد شيئا جديدا يدعو الى النشر ، فظن البمداء عن مركز الحزب والذين ليس لهم صلة مكاتبة به ، ان الحزب قد سكن وسكت او انحل كجمعية بيروت وجمعية البصرة . وأنه رضي من الحكومة بما قالت وما فالت ، وطافت الجرائد العربية في امريكة تظمن في الحزب وفي طالب الإصلاح كاذب ، وزعماء بيروت منهم خاصة .

يدخل الكلام بهذا الموضوع في اربع مسائل : الجماعات الإصلاحية ، والاعترضون عليها الآن ، وما يعترضون به ، والحالة الحاضرة . ونسأ في كل مسألة منها قول وجيز .

اما الجماعات الإصلاحية فثلاث كما تقدم : جماعة حزب اللامركزية وهي تعمل للامانة كلها وان كان العالمين فيها عربا وتأثير عمالها الاول في البلاد العربية . وهي وجد الإصلاح في البلاد العربية يوجد في غيرها حتما اما سابقا واما لاحقا . وجماعة بيروت وجماعة البصرة ، ومطالب كل منهما موضعية ، ولكن زعماءها متفقون مع حزب اللامركزية في مطالبه العامة كلها ، اذ النسبة بينهما وبينهما كالنسبة بين الخاص والعام . فثلاثت الجماعة في اليوم عن مطالبها العامة لأسباب اقتضت ذلك ،

فذلك لا ينبغي بقاء اتفاق أهل الرأي منهم، مع حزب اللامر كزية في المطالب الاصلاحية العامة، وان لم يساعده على ذلك جميع افرادها في الشكل الاول، فقد يساعده كثير منهم في شكل آخر. والحق الواقع ان الحزب الآن اقوى ناصرا واكثر عددا مما كان عليه من قبل، خلافا لما يتوهمه البعيد عنه، فقد تشعبت شعبه وكثرت فروعه في الولايات، ورسخت مقاصده في النفوس، وقد قويت الآمال فيه، وانحصر رجاء الولايات في سعيه، وان صلة السيد الزهراوي به لم تزد رجاء الولايات فيه الا قوة وثباتا، وان كان أهل الرأي من شعبه ولجانه فيها متفقين مع اخوانهم الذين في سر على كون ما مننت به الحكومة على العرب لا يسد شيئا مذكورا في جانب مطالب الحزب، ولا ينبغي ان يزيده الا جدا واجتهادا في السعي.

وأما المعارضون فمنهم الخاص الذي لا علم له بدخائل الامور وحقائقها، ومنهم الخاص المطامع الذي يريد بالاعتراض حفز الهمم، والحث على الاسراع في العمل، ومنهم من لا حظ له من المطالبة بالاصلاح الا التلذذ بمقاومة الدولة العثمانية والتهويش عليها، وهو لا يرجو لها ولا منها صلاحا، ولا يحب لها بقاءا. فهو نصير المتألمين عليها، وظهير المقاومين لها، وعدو الراضين منها، كيفما كانوا، وبأية شكل ظهروا، ومراده ان تستولى الدول الاوربية عليها ولا يرضيه ما دونه هذا. ومنهم من لا يسئل معرفة قصد ولا حقيقة مراده. فلما فالحاصلون في طاب الاصلاح فلا يلبثون ان يرجعوا عن انكارهم، وغير الخاصون لا علاج لهم.

وأغرب ما رأى الحزب من المعارضة والمقاومة وأبعده عن المعقول ما كان من احد كتاب نصارى السوريين الذين انتموا للحزب. فقد حضر كثيرا من جلسات اللجنة العليا بطريق الاستثناء، كان باقي فيها دلوه بين الدلاء، فينفرد بالمعارضة، ويلج بطالب جعل المصالح والمنافع قسمة بين المسلمين والنصارى، وقد اتفق الفريقان على انكار هذا الرأي وضرر هذه القسمة، وكونها تكون مثار النزاع والتخاصم والعداوة والبغضاء، ويجزم أهل العلم والرأي من النصارى بأن ضرر هذه القسمة عليهم اشد، وان السكوت عن كل ما يتعلق بالدين والمذاهب خير لهم واقمع. ولكن هذا الكاتب الذي كان يذكر ذكر الدين في امور السياسة وشؤون الدنيا بكثرة هذا لما نشر في بعض جرائده مصر وأمريكا، ونقر نصارى المهاجرين في أمريكا من الحزب، ونهاهم عن مساعدته باسم المسيحية وحقوقي المسيحيين وهذه المسامين لها، حتى انه كتب في جريدة الهدى الامريكية التي تمنى بنشر ما يكتبه ان صاحب المنار أنكر على مسلمي بيروت اتفاقهم مع نصاراها على جعل نصف أعضاء المجالس المحلية

من المسلمين والنصف الآخر من غيرهم . وهي دعوى غير صحيحة ، فان النار أنكر من لائحة جمعية بيروت الاصلاحية اكثر مما اعطته للفتنشين والمراقبين من الاجانب ولم ينكر مسألة المناصب في المجالس بل عدها دليلا على اخلاص المسلمين وصدقهم الاتفاق مع النصارى لأنهم تنازلوا لهم عن بعض حقوقهم .

وأما الانتقاد والطمع الذي صوب اليهم فهو ان الترك ارضوهم ببعض المناصب والوظائف ، فظهر أن طلب الاصلاح كان شبكة لتبديد المنافع ، ويحتمجون على هذا بأن المؤتمر العربي قد قرر ان لا يقبل احد من المنتسبين الى لجان الاصلاح العربية اي منصب في الحكومة العثمانية اذا لم تفذ القرارات التي صادق عليها - الا بموافقة خاصة من الجمعيات المنتسبة اليها . وخص باشا الانتقاد السيد الزهراوي وعميدي المسلمين والنصاري في جمعية بيروت الاصلاحية - محمد افندي بيهم ونخله بك سرسقي اذ قبلوا ان يكونوا أعضاء في مجلس الاعيان ، قبل تنفيذ الاصلاح في البلاد العربية ولمؤلاء الثلاثة ثلاثة اجوبة يردون بها تلك المصاعن (احدها) ان الحكومة قد شرعت في تنفيذ الاصلاح ولا يعقل أن لا يقبل العرب طلاب الاصلاح مناصبا ولا اعتبار فيها الا بعد تنفيذ الاصلاح كله بأيدي الترك ومتناومي الاصلاح من العرب ، كأننا نقول : إنا بعد ان يصاح لنا دؤلاء بلادنا قبل المناصب والوظائف فيها ! (الثاني) ان عضوية الاعيان لا تعد وظيفة او منصبا في الحكومة ، لان عمل الاعيان كعمل المبعوثين (النواب) : وضع اقتوانين ومراقبة الحكومة في تنفيذها ، فيسيطر على الحكومة لا خدمة لها (الثالث) ان اللجان الاصلاحية التي ننتهي اليها قد وافقت على ان تكون في مجلس الاعيان . وأما الذين قبلوا المناصب في غير مجلس الاعيان فيمكن لمن كان متميلا الى بعض لجان الاصلاح ان يجيب بالاجواب الاول . وهو جواب ضعيف اذا لم يعززه الثالث .

سواء على حزب اللامركزية اقتنع المتقدمون والمطاعنون بهذه الاجوبة أم لم يقتنعوا ، فان لجنة الحزب العليا لم تدخل في باب المناصب والوظائف ، وقد دعي رئيسه (رفيق بك العظيم) الى الاستانة مرارا قبل ذهاب الزهراوي اليها وبعده - وكان ولا يزال مرشحا لمنصب الوزارة - فلم يجب الدعوة ، والسيد الزهراوي - وان حضر تأسيس الحزب - لم يجب ان يدخل في لجته الادارية ولا في الانتخاب لها ، لانه جاء مصر زائرا لا مقبلا . ولكن مكاتته العالية من نفوس لجنة الحزب العليا ومن نفوس - من طلاب الاصلاح في سورية وغيرها هي التي حملت اللجنة

على اختياره للمؤتمر، ثم ان حسن سلوكه في المؤتمر، وثباته بعد اتمام عمله فيه على السعي الى الاصلاح مع الارتباط بالحزب وتقيده بقراراته، وانقطاعه عن كل عمل لأجله، على كونه ينفق من مال نفسه - وناعيك بسعة النفقات في أوربة - كل ذلك كان من الاسباب الجديدة لرضاء الحزب بقبوله لمنصب عضوية الاعيان والتوسط لدى الحكومة في الاصلاح، واما السبب الأول فهو كفاءته الشخصية في صدقه واخلاصه ونارينه الحميد النقي، كما أشرنا الى ذلك من قبل.

بقيت المسألة الرابعة، وهي بيان حالة الحزب الحاضرة. والتول الوجيز فيها ان الحزب - وان لم يسمع له صوت عال من عدة أشهر - قد أصبح أقوى مما كان، منذ أسس الى الآن، فقد كثرت فروعها في الولايات وانتظمت، وقويت الثقة به وثبتت، وانحصرت آمال طلاب الاصلاح فيه أو كربت، ويصح ان يقال ان طوره الأول كان طور تمهيد للعمل بإعداد الافكار، ثم بتأليف اللجان، وقد انتهى الآن بطور القيام بالأعمال، وان قياده بالعمل، واضطلاعه بالسعي، ذو خير خدمة للدولة قبل الامة، لما أثبتته الماضي لرجاله من الروية وحسن النية، فكانت المصلحة في أن يدير هو الحركة، لئلا تنفضي الى الفوضى، أو يتغلب عليها الغلاة المتطرفون، الذين ظهرت في مدة سكوتهم اصواتهم بنعمة الثورة، وتوزيع منشورات أقلقت الحكومة وعملاء الامة. ويقال انه يريد ان يبدأ عمله بجمع مؤتمره السنوي وتجديد انتخاب أعضاء اللجنة العليا، وعرض المشروعات الجديدة للعمل عليها، ومنها تحويله الى جمعية، اذ لم تصدق عليه الحكومة. فقد اقترح هذا كثيرون. وعسى ان تكفيه الحكومة هذا الامر، فتبادر الى الاصلاح من تلقاء نفسها والله الموفق.

الشيخ علي يوسف



﴿ أخلاقه وسجاياه ﴾ المنار لا يعنى بترجمة أحد ترجمة تاريخية محضة وإنما يعنى من تراجم الناس بيان الاخلاق الحسنة والاعمال النافعة، التي تكون مثالا حسنا، وقدوة صالحة، لأن غاية المنار اصلاحية فهو يعنى بكل ما يتوصل به

الى الاصلاح ، ويرغب الناس في الفضائل ومحاسن الاعمال ، وان ذكرنا مايقابل ذلك فانما نذكره لان العبرة لائتم الابه ، ولا يجمل ذكر المساوي هو الاصل في الموعظة ، وقد كان ما ذكرناه من ترجمة هذا الرجل دأباً ، على هذا القطب ، وأحبينا أن نختتمها بهذه الكلمات التي تذكر الناس وتنبه الغافل لما هو المصنوع بالذات . فنقول أن هذا الرجل نبه بعد خمول ، وارتفع بهمة وأخلاقه الى الطبقة العليا في أمته ، فصار من بطانة أمير البلاد وأهل ثقته . وصاحب التأثير الاول في أفكار المصريين ، والرأي المحترم في جميع الاقطار الاسلامية ، وكمن متعلم نال الدرجات العلى في العلوم والفنون العربية والافرنجية يتعنى أن يصل الى ماوصل اليه الشيخ علي يوسف بما دون درجات علمه وهو لا يستطيع الى ذلك سبيلاً ، لأن من أبطأت به سبحانه وأخلاقه لا تسرع به عاومه وفنونه ، فأحب أن تتذكرنا أن الرجل قد ارتقى بالعزيمة . وقوة الارادة والصبر والثبات وعوا الهمة ، والاخلاص لله والامة . فمن استطاع ان يتخلق بهذه الاخلاق ، فليقصد بها ماشاء من مراتب الكمال ، ومقامات الرجال . وليحذر المعتبر بسير رجال عصره من الوقوع في مثل الخطأ الذي ارتكبه هذا النابغة وأمثاله من النوايح (كقاسم بك أمين) وهو محاولة استمجال الثروة الواسعة التي تليق بمقامهم الاجتماعي بساوك الطرق التي ربما تؤدي الى ضد مرادهم ، والشيخ رحمه الله عصمته تربيته الدينية ان يفتن بما افتتن به كثير من كهولنا المتفرجين من المقامرة ، وانما تورط في شراء الدور والقصور وعروض الارض الممدة للبناء في تلك المدة التي خرج فيها التغالي بالاثمان عن الحد الطبيعي الذي وصلت اليه درجة العمران في البلاد . ولما عادت (سنة رد الفعل) بأثمان المباني وعرضاتها الى ما دون الثمن المعتدل لها ، بعد ذلك الافراط فيها ، غرق الرجل مع من غرق في طوفانها ، ولولا ذلك لما قصرت ثروته بما يليق بمقامه الاجتماعي ، على ما كان من تفصيله في ادارة المؤيد المالية . وما ذكرنا هذا على كونه معروفا مشهورا الا ليكمل الاعتبار بسيرة فقيدنا النافعة طردا وعكسا ، ونسأل الله تعالى ان يستعمله برحمته ، بمنه وفضله وكرمه .

(تنبيه) وقع في السطر ٢٢ من ص ١٦٨ من هذا الجزء كلمة سب خطأ وصوابها (سبب)